

الاتصالات في حروب الردّة

حسن محمد الربابعة*

ملخص

تهدف الدراسة إلى إبراز أهمية الاتصالات في إدارة شؤون المعارك، في حروب الردة، ولعل من أهم النتائج أن كثيراً من وسائل الاتصالات القديمة، لا تزال توظف في عصرنا الحالي، منها: المراسلات الشفهية والتحريرية، والزيارات الشخصية، والرموز والإعلام، وكلمات السر؛ بين القوات المسلحة الداخلية والخارجية. الكلمات الدالة: حروب الردة.

This Communications during Al- Ridda Wars

HasaM. Rababah

Abstract

This study aims at high lighting the significance of communication during Al-Ridda Wars. Probably, the most important findings if this study is that many of the old communication means, are still being employed at present times, chief among which are oral and written correspondence, official visits, flags and symbols, passwords especially among the military personnel.

Keywords: Alridda Wars.

* قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

تاريخ تقديم البحث: 2008/4/24.

تاريخ قبول البحث: 2008/11/16.

© جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، المملكة الأردنية الهاشمية، 2009 .

1. مقدمة

تعدُّ الاتصالات إحدى فقرات أوامر العمليات، في جميع مراحل الحرب، من هجوم ودفاع، وانسحاب وتقدّم لأهميتها، إذ بها يتم تفهم القادة لواجباتهم، وإفهامها للجند، وما يطلب منهم من إجراءات لإنجاز الواجب الموكول إليهم، وبها يتم تنسيق الجهود المشتركة، للتعامل مع سير المعركة وإجراءاتها في مراحلها المتعددة.

وبالاتصالات يعرف القادة والجند ما تم إنجازه، وما عليهم أن ينجزوه، ومتى؟ وأين؟ وكيف؟ ولماذا؟؛ ذلك لأن الاتصالات هي سمع القائد وجنوده وبصرهم، وهي التي تجلّي لهم الموقف سلباً وإيجاباً في جميع مراحل المعركة، وعلى هداية الاتصالات يتم إنجاز المهمة العسكرية، وبأقلّ الخسائر المادية والمعنوية، إن الاتصالات تُعدُّ بمثابة أوصال المعلومات التي تغذي الجند والقادة في سوح القتال، بدءاً من هرم القادة إلى قاعدته، والعكس صحيح، ولك أن تتصور وحدة عسكرية انقطعت اتصالاتها، وعميت عليها أخبار القادة والقمة، فماذا تفعل؟ إنها بالتأكيد تكون صمّاء عمياء، لا تدري ما تفعل ولا أين تتجه.

إن إدامة الاتصالات تُعدُّ من أهم فقرات أوامر العمليات، إذ بدونها تُفقد السيطرة على الجند، ويتصرف كل جندي على هواه بغوضى كما يشاء، ولعل البحث هذا يجيب عن سؤال هو؛ كيف أدار الصديق عمليات ألويته الأحد عشر في صحراء الجزيرة العربية، المترامية الأطراف؟

لقد دفع الباحث هذا الموضوع، لطرافته وجدته وأهميته، حيث لم يسبق - في حدود علمنا - أن بحث من قبل، وبغيت أن يتوقف عند اتصالات حروب الردة؛ لتتجلي الاتصالات بأنواعها المتعددة بين طرفي القتال؛ مسلمين ومرتبدين؛ لعلها تكون أنموذجاً في دروس التراث من منظور حديث، أو قراءة جديدة للتراث من عدة قراءات في هذا المنحى.

2. الاتصالات لغةً واصطلاحاً

وصل⁽¹⁾ خلاف الفصل، ووصل الشيء يصله وصلّاً وصلّةً والأخيرة عند ابن جني والضمة تشعر بأن المحذوف إنما هي الفاء هي الواو، وقال أبو علي الضمة في صلة هي ضمة الفاء المحذوفة - وفي التنزيل العزيز "ولقد وصلنا لهم القول"⁽²⁾ بمعنى وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى بعضها ببعض لعلهم يعتبرون، واتصل الشيء لم ينقطع، وقوله أنشده ابن جني:

قام بها ينشد كلُّ مُنشدٍ وابتصلت بمثل ضوء الفرقد

وأراد ابتصلت أبدلت من التاء الأولى بباء كراهية التشديد وقوله أنشده ابن الأعرابي:

سحيراً وأعنان المطي كأنها مدافع ثغبان أضرب بها الوصل

كما هو في القاموس المحيط⁽³⁾ وفي معاجم المعاني⁽⁴⁾ وصل الشيء بغيره فاتصل، وصل الحبال وغيرها توصيلاً بمعنى وصل بعضها ببعض ومنه "لقد وصلنا لهم القول"⁽⁵⁾ وخطط موصل بمعنى فيه وصل كثير، ووصلني بعد الهجر ووصلني، وصرمني بعد الوصل والصلة والوصل، وتصارموا بعد التواصل، وقطع الله أوصاله بمعنى مفاصله. ونحا الفيومي نحو علماء المعاجم فعرض "وصل" إليه وصولاً وصل الخبر بمعنى بلغ،⁽⁶⁾.

وأما وصل في بعض المعاجم الحديثة نحو المعجم الوسيط والمنجد، فتجد توسعاً في اشتقاقات وصل، ذلك هو في المعجم الوسيط في مادة "الإيصال" بمعنى الخط الذي يُعطاه من أدنى مالا ونحوه إلى آخر سنداً به يستلمه، وهو لفظ أقرّه مجمع اللغة العربية⁽⁷⁾. ويرد الإيصال في المنجد بمعنى ورقة تثبت دفع مبلغ من المال أو تسليم شيء إلى صاحبه لدي إيصال منك⁽⁸⁾، ويفهم مما سبق من معنى (وصل) لغة تعذد تصرفاتها ومصادرها وهي بمعنى توصيل أخبار الأمم السابقة إلى اللاحقة، أو إيصال شيء بشيء كشعر الممتوصلة بالواصلة، ثم تعدت إلى معنى "إيصال" بمعنى ورقة تثبت حقاً لآخر كما هو في الوثائق الرسمية الآن، كما يفاد من تشق "وصل" وتصاقب لفظها "اتصل" ومصدرها "اتصال" وجمعها اتصالات وهو الغاية المبتغاة في هذا البحث، حيث ورد اتصال في المعجم الوسيط.

أما الاتصالات؛ اصطلاحاً فانفرد بها المنجد في ضوء ما اطلعت عليه من المعاجم الحديثة باسم المواصلات بأنه: اسم عام لوسائل الاتصالات من طرق برية وبحرية وجوية، وبرق وهاتف وغيرها⁽⁹⁾، ويفهم مما سبق أن الاتصالات تعني وسائل إيصال المعلومات من القمة إلى القاعدة، وبالعكس، وبالطرق البرية والبحرية، من مراسلات نتقراها بـهين أو بالخطب والتشاور مما تراها وتسمعها وتتقدها، وبوسائل أخرى أدرجت في البحث، لإيصال المعلومة اتخاذ إجراء مناسب على ضوء ما وصل إليه من خبر.

3. الاتصالات

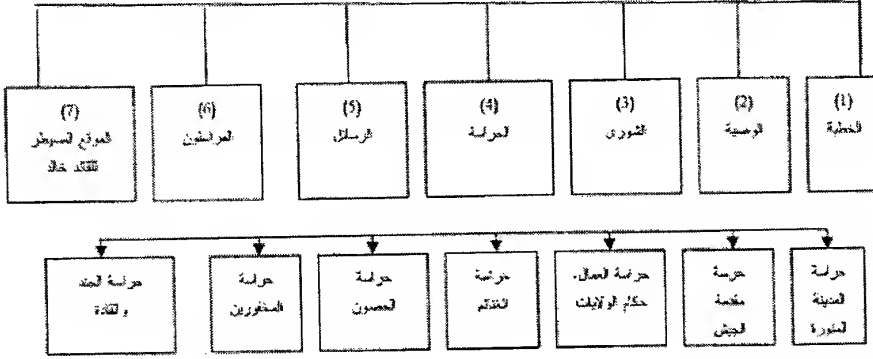
وتنقسم إلى قسمين هما:

3 - أ. اتصالات المسلمين.

3- اتصالات المرتدين.

3- أ. اتصالات المسلمين

تنوعت وسائل اتصالات المسلمين من القمة إلى القاعدة ممثلة بالخليفة والقادة من جهة، واتصال قادة الأوية مع الخليفة، وقادة الأوية مع بعضهم من جهة أخرى، وما نحن نتكلم مخططاً تشجيرياً يوضح سبع وسائل للاتصالات منها ثمان للحراسة تمهيداً لدرسها على النحو التالي:



أ. وسائل الاتصال عند المسلمين متعددة داخلية وخارجية منها:

(1) الخطبة

الخطبة؛ هي مصدر الخطيب، وهي اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب، فيُوضَع موضِع المصدر⁽¹⁰⁾. والخطبة خير وسيلة اتصال بالمتلقين، إذ لها أثر في نفوس المتلقين إيجاباً وسلباً، والخطيب هو الذي يقرأ علامات السخط والرضا في وجوه المتلقين، ويدرك استحصان المطروح من الفكر واستقباحه.

ولعل من أبرز الخطب على النفوس المتلقية أن تمثل عليها بخطبة للصديق رضي الله عنه، إذ خطب بالمسلمين في المسجد النبوي الشريف، لما بلغه ردة طائفة من كندة ورأسوا عليهم الأشعث بن قيس، ولرئت بنو بكر بن وائل، واجتمعت بنو حنيفة على مسيلمة الكذاب، فبادر الصديق إلى المسجد، فنادى في العرب، وقام فيهم خطيباً فقال: "الحمد لله هدى فكفى، وأعطى فأغنى، إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قد رث حبله، وخلق عهده، وضل أهله عنه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم، قد غيروا كتابهم وألحقوا فيه ما ليس منه. والعرب الأمنون يحسبون أنهم في منعة من الله لا يعبدونه ولا يدعونه فأجهدهم عيشاً وأضلهم دينه في ظلف (غلظ) من الأرض، فختهم الله بمحمد وجعلهم الأمة الوسطى ونصرهم على غيرهم حتى قبض نبيه صلى الله عليه وسلم فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله عليه وأخذ بأيديهم وبغى هلكتهم. إن من حولكم من العرب منعوا شلتهم وبغيرهم ولم يكونوا فيديهم — وإن رجعوا إليه — أزهدهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا على ما تقدم من بركة نبيكم صلى الله عليه وسلم"⁽¹¹⁾ ثم تلا قوله تعالى "وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون"⁽¹²⁾ أيها الناس إنما أنا رجل منكم أغني ما تغنون، وأحامي كما تحامون، وأنتم شركائي في هذا الأمر فهاتوا ما عنكم من الرأي"⁽¹³⁾، فقام عمر بن الخطاب خطيباً بحث

الصدّيق على التّريث في إرساله جيش أسامة إلى الشام، ريثما ينجلي أمر المرتدين، لأنّ في جيش أسامة خيرة الصحابة وفي إرساله إفراغ للمدينة من بعض جندھا الأبطال فقال: "يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العرب قد ارتدّت على أعقابها كفارا كما قد علمت، وأنت تريد أن تنفذ جيش أسامة بن زيد، وفي جيش أسامة جماهير العرب وأبطالهم، فلو حبسته عندك لقويت به على من ارتدّت من هؤلاء العرب" (14) فنهض الصدّيق خطيباً يردّ عليه قائلاً: "لو علمت أن السباع تأكلني في هذه المدينة لأنقذت جيش أسامة بن زيد كما قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: "امضوا جيش أسامة، ثم تلا قوله تعالى: "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا" (15)

إننا نفهم من هذه الخطبة أموراً منها اجتماع لمسلمين في مسجد النّبي الكريم للشّاور في أمر إرسال جيش أسامة إلى مؤنة، ولإبلاغ ما آلت إليه أمور المسلمين بعد وفاة الرسول الكريم، وارتداد بعض القبائل عن الإسلام، وفي الخطبة شوري وعدم استبداد بالرأي، وفيها إيضاح حقائق لا يمكن للصدّيق أن يتنازل عنها ولو قيد أنملة، وهي عدم تنفيذ أمر رسول الله بإفناذ جيش أسامة، تنفيذاً لأمر لا ينطق عن الهوى، حتّى وإن بدا للفراروق أن استبقاء جيش أسامة لصد المرتدين أولى من إنفاذه خارج المدينة، فتصفيه ما يسمى اليوم الجبهة الداخلية وارد الأعداء عنها أولى من إضعاف المدينة بإخراج بعض جندھا لميدان الحرب، ولكن هذه الحجج القوية التي أوردها الفراروق على قوتها واحتوائها تعد ضعيفة أمام عزيمة الصدّيق خليفة الرسول الكريم الذي لا بد أن ينصاع لأمر نبيّنا الكريم الذي لا ينطق عن هوى، فما كان للصدّيق إلا أن أنفذ الأمر وأرسل جيش أسامة رضي الله عنهما، إلى المّهمة التي حدّدها الرسول الكريم له من قبل، وما تنفيذ أمر الرسول ميتاً إلا هو تنفيذ الأمر نفسه لو ظلّ حياً، وأثبتت خطبته سداد رأيه في صحة اتخاذ قرّره رضي الله عنه، وتتابع الناس على رأي أبي بكر رضي الله عنه.

(2) - الوصية

التي هي لغة ما أوصيت به (16) فقد برزت وسيلة اتصال جيدة ذلك أن أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه أوصى خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما كان في الجرف، (17) لما عقد له عقداً وضم إليه الجيش قال يوصيه ويحدّد له مهمته "يا خالد، سر نحو طليحة بن خويلد الأسدي، ومن معه من بني أسد، وغطفان وفزارة، وانظر إذا وصلت إلى القوم، ونزلت بدارهم، وسمعت أذاناً، فلا تقاثلن أحداً حتّى تعذر إليهم، وتندبرهم، ثم نسّس إلى أمرائهم وأشرفهم فأعطهم من المال على أقدارهم وانظر إذا وافيتهم، فلا تنزلن بهم نهارة، فيروا عسكرك، ويعلموا ما فيه من الناس، ولكن انزل بهم ليلاً، عند وقت نومهم، ثم ارعوا أبلكم وحرّكوا أسلحتكم، وهولوا عليهم ما قدرتم، وإن أنظر الله بطليحة بن خويلد وأصحابه فسر نحو البطاح من أرض تميم إلى مالك بن نويرة وأصحابه ولعلي أتيك من ناحية أخرى إن قدرنا على ذلك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" (18)

إن وصية الصدّيق لخالد كانت في الجرف حيث عقد له لواء وحده محور تحرّكه إلى المرتدين بزلخة حيث طليحة الأسدي ثم إلى البطاح حيث مالك بن نويرة، وحرّره من البدء بقتالهم إن سمع فيهم الأذان لأنهم عندئذ مسلمون، وأوصاه بإجراءات أمنية، على خالد اتباعها وتنفيذها؛ من نحو نزوله بأرض عدوه ليلاً لئلا يتمكن العدو من رصد قوت المسلمين وتحديد قوتهم وأسلحتهم، وأمره أن يقعع بالسلّاح لإخافتهم وإرعابهم،

وهي من دروس نفسية ما زلنا نتقراها في فنون الحرب، وقد وعد خالدًا بإنجاده من محور آخر إن تمكن، ليلقي في قلوب المرتدين خوفاً إذا نقلت لهم من سير المعركة الحربية إليهم أية أخبار، وأوصاه باستمالة ما أمكنه من زعمائهم، لتشتيت جبهتهم على المسلمين ما أمكنه، على أن يعطيهم من المال على قدر مناصبهم وأشرفهم.

(3) - الشورى

الشورى وسيلة اتصالات انتهجها الصديق ﷺ فَعَرَضَ غَيْرَ أَمْرٍ عَلَى أَصْحَابِهِ، واختلفوا في وجهات النظر، ثم رَجَحَ الصَّدِيقُ ﷺ الأَمْرَ واتَّخَذَ فِيهِ قَرَارَهُ، ونمَّطَ عَلَى الشورى بطلب الصديق ﷺ من المسلمين أن يبادروا إلى المسجد النبوي ليعرض عليهم أَمْرَ إِنْفَازِ جَيْشِ أَسَامَةَ إِلَى مَوْتَةٍ، والمسلمون كانوا بأمر الحاجة إلى جنده، فاستشارهم الصديق ﷺ لاستبيان رأيهم تحقيقاً لأمر الشورى قال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مَنكُم مَّا أَغْنَى مَا تَغْنُونَ، وَأَحَامِي كَمَا تَحَامُونَ، وَأَنْتُمْ شُرَكَائِي فِي هَذَا الأَمْرِ، فَهَاتُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الرَّأْيِ"، فقام عمر بن الخطاب وطلَّبَ مِنَ الصَّدِيقِ ﷺ أَنْ يَحْبِسَ جَيْشَ أَسَامَةَ لِيَتَقَوَّى بِهِ عَلَى بَعْضِ الْقَبَائِلِ الْمُرْتَدَّةِ قَالَ: "يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِنَّ الْعَرَبَ قَدْ ارْتَدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهَا كَفَّاراً، كَمَا قَدْ عَلِمْتُ، وَأَنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَنْفِذَ جَيْشَ أَسَامَةَ بِنَ زَيْدٍ، وَفِي جَيْشِ أَسَامَةَ خَيْرٌ نَفِيرِ الْعَرَبِ وَأَبْطَالِهِمْ، فَلَوْ حَبَسْتَهُ عِنْدَكَ لَقَوَّيْتُ عَلَى مَنْ ارْتَدَّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعَرَبِ" (19).

ولعل رأي الفاروق مناسبة أن يصفى الصديق ﷺ ما يسمى اليوم "جبهته الداخلية" قبل أن يسعى إلى القتال في جبهته الخارجية، فرفض الصديق ﷺ رأي الفاروق بحجة وشدة، إذ كيف للصدوق أن لا ينفذ جيشاً أوصى بإنفاذه الرسول الكريم قبيل وفاته، وكان محتشداً في الجرف قال له الصديق ﷺ: لو علمت أن السباع تأكلني في هذه المدينة لأنفذت جيش أسامة بن زيد، كما قال النبي ﷺ "امضوا جيش أسامة" وتلا قوله "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا" (20) وأما من ارتدَّت من هؤلاء العرب فمنهم من لا يصلي وقد كفر بالصلاة، ومنهم من يصلي ويدفع الزكاة، ولا والله، يا أبا حفص، ما أفرق بين الصلاة والزكاة لأنهما مقترنتان (21) ثم أشار الفاروق على الصديق ﷺ أن يتجافى عن زكاة العرب ذلك العام، رجاء أن يعودوا عن ما هم عليه واحتج على الصديق ﷺ بقوله عليه الصلاة والسلام "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله" (22) فرفض الصديق ﷺ رأي عمر قائلًا: "والله لو منعوني عقلاً مما كان يأخذه منهم النبي ﷺ لقاتلتهم عليه أبداً ما حييت، ثم لنحاربهم أبداً حتى يُنجزَ اللهُ وَعْدَهُ، ويغي لنا عَهْدَهُ فَإِنَّهُ قَالَ وَقَوْلُهُ صِدْقٌ لَا يَخْلَفُ لَهُ " وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا" (23) ولما تبين للفاروق قوة حجة الصديق ﷺ وتميَّزُهُ فِي حُسْنِ تَقْسِيرِ الْآيَةِ، وَالصَّدِيقُ ﷺ لَا يُجَارَى فِي فِهْمِ آيِ اللَّهِ بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ وافقه على رأيه قائلًا: يا خليفة رسول الله، إنما شرح الله صدرك بقتال القوم، فسمعت وطاعة. (24)، فتتابع الناس على رأي الصديق ﷺ فأنشأ الحارث بن هشام المخزومي يسجل الشورى بين المسلمين، ويرجى رأي الصديق ﷺ المتميِّز والمطاع الذي بذ رأيه جميع الآراء، فاتبعوه في رأيه قال الحارث بن هشام: (25)

عَمَرُ رَأَى وَاللهُ بِالْغُ أَمْرِهِ	رَأْيَا فَخَالَفَ رَأْيَهُ الصَّدِيقُ
إِذْ قَالَ غَمَضُ فِي الْهَدَى إِغْمَاضَةً	وَلَرَفَقَ فَإِنَّكَ فِي الْأُمُورِ رَفِيقُ
وَتَجَافَ عَنْ أُمُوالِهِمْ فَأَبَى لَهُ	إِلَّا قَتَلَ عَدُوَّهُ التَّوْفِيقُ
قَالَ الْخَلِيفَةُ : قَاتِلُوا أَعْدَاءَكُمْ	إِنَّ الدُّنْيَا رَذَّةٌ لِلتَّعْصِيقِ ⁽²⁶⁾
لَرَمِيتُ قَوْمًا بِالْقَنَابِلِ وَالْقَنَاسَا	مَنْعُوا الزَّكَاةَ وَإِنِّي لَمَحُوقُ
بِقِتَالِكُمْ فِي قَلَّةٍ أَوْ كَثْرَةٍ	مَا دَامَ لِلْمَسْهِمِ الْمَرِيشُ فُوقُ

وتعدُّ الشورى وسيلة اتصالات؛ اجتمع الصديق ﷺ بأهل الرأي، وأدلى أهل الرأي بآرائهم، فلما عرضت شورى عمر - على كبر قدره - رفضها الصديق، لأن رأيه يعتمد على تتبع النبوة وإلهامها، وهذا هو دين الصديق ﷺ. وهكذا قرر، فاستحسن الحضور رأيه، وتابعه الفاروق. وفي مشهد ثانٍ يستشير الصديق ﷺ صحبه بعد أن تمادى الأشعث بن قيس الكندي، فقتل رسول أبي بكر، وحصر زياد بن لبيد في مدينة "تريم" واشتد القتل بالمسلمين، فأشار أبو أيوب الأنصاري ﷺ على الصديق ﷺ أن يسمح أهل كندة بـزكاة ذلك العام، لعلهم يؤثرونها العام المقبل فقال أبو أيوب: "سمع ما أشير عليك إن القوم عدهم كثير، وفيهم نخوة الملك ومنعته، وإذا اهتموا بالجمع جمعوا أضعافاً كثيراً، فلو صرفت الخيل عنهم في عامك هذا، وصفحت عن أموالهم لرجوت أن ينيبوا إلى الحق" ⁽²⁷⁾ فتبسم الصديق ﷺ لما سمع رأيه وقال له: والله يا أبا أيوب، لو منعوني عقلاً واحداً؛ مما كان النبي ﷺ وضعه عليهم لقاتلتهم عليه أبداً أو ينيبوا إلى الحق" ⁽²⁸⁾ فسكت أبو أيوب أمام حجة الصديق ﷺ القوية، النابعة من شخصيته الإيمانية، فالصديق يستن بسنة النبي ولا يسمح بالإنقاص منها - وإن قليلاً - مما كان يؤدي لرسول الله، فهو خليفته، ومطبق شريعته فقصَّ حسن بن ثابت في قصيدته ما دار بينهما، وعرض رأي أبي أيوب، وتميز الصديق ﷺ بحسن رأيه: ⁽²⁹⁾

لَمَّا أَبُو أَيُوبُ قَامَ بِخُطْبَةٍ	يُنْهِى أَبَا بَكْرٍ وَقَالَ مَقَالَا
إِنْ تَلَقَّ كَنْدَةَ تَلْقَهُمْ يَوْمَ الْوَعَى	تَحْتَ الْعَجَاجِ فَوَارِساً أَبْطَالَا
فَاتْرَكَهُمْ عَاماً هُنَاكَ لَعَلَّهُمْ	أَنْ يَجْمَعُوا نَحْوَ الْهَدَى أُمُوالَا
فَإِنَّكَ خَيْرٌ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي	مَنْ أَنْ تَرَى مُتَعَسِّفًا قَتَالَا
فَأَجَابَهُ الصَّدِيقُ أَنْ لَوْ أَتْنِي	مِمَّا الرِّسُولُ حَوَى مَنَعْتَ عَقَالَا
قَاتَلْتُهُمْ بِالْمَرْهَفَاتِ وَالْقَنَاسَا	وَتَشِيتُ خَيْلِي نَحْوَهُمْ وَرَجَالَا
حَتَّى يَنْبِيبُوا رَاجِعِينَ إِلَى الْهَدَى	وَيَرْوْنَ طَرّاً تَارِكِينَ ضَالَالَا

(4) الحراسة

الحراسة: تعني حماية المدينة أو الشخص أو الجيش، من العدو المباغت فهي ظاهرة بارزة في الخدمات الإدارية ووسيلة اتصال جيدة بين القائد وجنده، اعتمدت في حروب الردة، وهي ثمانية أصناف في المخطط هي:

(4-أ) حراسة المدينة

أما حراسة المدينة المنورة فأُسندَها الصديق ﷺ لكبار الصحابة، أثناء حملة أسامة على مؤتة، منهم علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وابن مسعود، وقد أحرسهم الصديق ﷺ على مدخل المدينة؛ لتوقعه مفاجئاتها، بغزاة من أسد، وغطفان وطيء وفزارة؛ لأنّ وقدما منهم قدم إلى أبي بكر، يطالب بإعفائهم من الزكاة، وقد رفض أبو بكر ذلك، وهتدهم بمحاربة كل من يفرق بين الصلاة والزكاة، وألزم أبو بكر أهل المدينة بحضور المسجد؛ خوفاً الغارة من العدو، فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرّقوا المدينة، كما توقع الصديق؛ فوافوا ليلاً أنقَاب "مداخل" المدينة المحروسة، وأرسل حرس المدينة إلى أبي بكر الذي كان في جاهزية جهادية فطاردتهم على النواضح.⁽³⁰⁾

(4-ب) حراسة مقدمة الجيش

أما حراسة مقدمة الجيش التي كانت تسمى طليعةً فذات واجباتٍ متعددةٍ منها؛ تقديم معلومات أولية، عن العدو، والاصطدام به، وإيقاع خسائر بالعدو؛ قتلى وجرحى، وجلب الأسرى، فجرى من ذلك خلال حركة خالد بن الوليد إلى طليحة الأسدي؛ ذلك أن خالد بن الوليد أرسل عكاشة بن المحصن، وثابت بن أرقم الأنصاري طليعة؛ فلقبهما حبال أخو طليحة فقتلاه، فبلغ طليحة خبره، فخرج طليحة وأبو سلمة ثاراً لأخيهما، فقتل طليحة عكاشة وقتل أخو طليحة ثابتاً⁽³¹⁾، وقد حذّر خالد بن الوليد وأجبّ الطليعة - وهم عكاشة بن المحصن وثابت بن أرقم الأنصاري، ومعبد بن عمرو المخزومي بقوله لهم: "انطلقوا وتجسسوا الخبر، عن طليحة بن خويلد وعن موضع عسكريه."⁽³²⁾ وتجسس الخبر وسيلة اتصالات جيدة قبل التماس مع العدو، وقد استشهد الرجال الثلاثة، طليحة خالد، فتأسف طليحة الأسدي على قتله إياهم بعد أن أسلم، وأدرج أسماء الشهداء الثلاثة في شعره قال: (33)

نَبِيتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ قَتْلِ ثَابِتٍ وَعُكَّاشَةَ الْغَنَمِيِّ، وَالْمَرْءَ مَعْبِدٍ

(4-ج) حراسة عمال الولايات

ونالت حراسة عمال الولايات الإسلامية ممن جمعهم الصديق، لواجبات أخرى، أو لتخوفه على قتلهم بعد ردة بعض القبائل التي كانوا يحكمونها، نحو حراستهم عمرو بن العاص، والي عُمان، وأبسان بن سعيد والي البحرين على الرغم نجاحهما في عمليهما.

وأما حراسة عمرو بن العاص من عُمان إلى المدينة، ففيها أخبار عن وفاء أهل عمان إلى الوالي المسلم، وحسن معاملتهم له، فأبرزها الشعر التالي على لسان عقبة بن النعمان العتكي: (34)

وَقَيْنَا لَعَمْرُؤِ يَوْمَ عَمْرٍو كَأَنَّهُ طَرِيدٌ نَفَثَهُ مَذْجَجٌ وَالسَّكَاكُ
رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ أَعْظَمَ بَحَقِّهِ ! عَلَيْنَا وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْحَقَّ هَالِكٌ
رَكَدْنَاهُ لَمْ يَشْتَمَ لَوْيَ بْنِ غَالِبٍ بِهِ الْآنَ إِذْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ

أما حراستهم أبان بن سعيد، من البحرين إلى المدينة المنورة، وفيها ذكر المراققين والحراس، وعندهم وأخبار عن ثبات أهل البحرين على إسلامهم طوعاً، ومن الحراس الجارود وصباح وأخوه هرم وابن سوار الكريم يوم المسغبة، كما أخبر ذلك أحد الحراس شعراً: (35)

جَزِي الْجَارُودُ خَيْرًا عَنْ أَبَانَ بْنِ سَعِيدٍ
وَصُبَّاحٌ وَأَخُوهُ هَرَمٌ خَيْرٌ عَمِيدٍ
وَابْنُ سَوَارٍ فَنَعَمْ الْمَرْءُ فِي الْعِلْمِ الشَّدِيدِ
أَسْلَمُوا طَوْعًا (م) وَكَفُّوا كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ

(4-د) حراسة الغنائم

أما حراسة الغنائم كإبل الصدقة، فأبرزتها حروب الردة إذ كان أبو هند حارساً للغنائم، من حضرموت إلى المدينة؛ ومعه رجل يدعى قنبر على رحلة خفيراً له، يحرسه إلى صنعاء والمسافة من صنعاء إلى المدينة تسع عشرة ليلة (36)، ولما وصل إلى المدينة، سأله الصديق، إن كان لقي المغيرة بن شعبة في الطريق ذات المراحل المذكورة، فلم يلقه، فعلم الصديق، أن المغيرة أخطأ الطريق (37) وفي الحراسة وما رافقها من خفارة، وسؤال الصديق لأبي هند إن كان لقي المغيرة في الطريق وسيلة اتصالات بين قيادة الخليفة وحراس الغنائم.

(4-هـ) حراسة الحصون

وأما حراسة الحصون فجلتها حروب الردة، وسيلة اتصال بين جند الحصون من الداخل والمحاصرين من الخارج وفيها معلومات استخبارية عن معنوياتهم ونصيحة في قتالهم، فإن حراس حصن "حواشي"، أسد في النهار في حراستهم وضباع في الليل، ومفتاح نصر العلاء الحضرمي أن يكبسهم ليلاً، وقد أخذ العلاء بالنصيحة فانتهصر فأصبح إلى أحدهم يقول: (38)

قُلْ لِلْعَلَاءِ لِيَقْهَمَ مَا كَتَبْتُ لَكَ مَنِّي إِلَيْكَ، وَخَيْرُ الرَّأْيِ مَا حَضَرَ
إِنَّ الْعَدُوَّ الَّذِي أَشْجَاكَ مَنْزِلَةٌ مِثْلُ الْأَسَاوِدِ وَالْحَيُّ الَّذِي نَظَرَ
أَسَدُ النَّهَارِ، ضَبَاغُ اللَّيْلِ لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْبَيَاتُ بِمَا لَا قُلُّ لَوْ كَثُرَا
هَذَا الَّذِي لَا أَرَى إِلَّا عَزِيمَتَهُ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ يُعْطِي النَّصْرَ مَنْ صَبَرَ

وبرز إهمال حراس الحصون - لأن إهمال الحارس يعني انقطاع الاتصال بينه وبين القائد وجنده شأن إهمال حرس جزيرة دارين، فداهمهم المسلمون؛ بقيادة العلاء الحضرمي وقتلوه، فقال بعضهم⁽³⁹⁾:

ضاق الفضاء بدارين وساكنها
نزعاً فحُضتْ إلى كفل دارين
من حيث لم يعلموا حتى رميتهم
وسط الجزيرة بالصييد الميامين

(4 - و) حراسة الأسرى مخفورين

وحراسة الأسرى من المرتدين إلى الصديق ﷺ أبرزتها حروب الردة؛ ذلك ما كان من أمر لإرسال عيينة ابن حصن، مخفوراً محروساً أسيراً إلى المدينة، بعد معركة بزلخة سنة إحدى عشرة للهجرة، فنخسه لطفال المدينة بالعصي فائلين له: "يا عدو الله، كفرت بعد إيمان؟"⁽⁴⁰⁾ ومثله أبو شجرة عمرو بن عبد العري، الذي كان يفخر بقتله عدداً من المسلمين من كتاب خالد⁽⁴¹⁾

فرويت رُمحي من كتيبة خالد
وإنّي لأرجو بعدها أن أعمرأ

لقد أسر عيينة، وصفح عنه الصديق، بعد أن أرسل محروساً إلى المدينة المنورة، وكانت حراسة الأسرى تشكل حلقة وصل بين الأسر والمأسور، وفيها يتم عرض سيرة المأسور، لإقامة الحد عليه أو العفو عنه كما رأينا.

(4 - ز) حراسة الجندي لغيره والحراسة ثالث الجندي لغيره

شأن جفنة بن قتيبة السكوني، الذي حماه ابن عم له من الأشعث بن قيس، لما رآه الأشعث يقاتل جنوده ببسالة، فأقلت جفنة منه، وشكلت هذه الحماية وسيلة إعلام وصفها الشاعر، وأبرز دورها في الميدان، ذلك الفتى الذي أنشأ يقول: ⁽⁴²⁾

تداركت جفنة من شعث
كررت عليه ولم أنكل
تداركنه بعد ما قد هوى
رهين العجاجة في القسطل
فأنجيتني من حياض الردى
فأبى نلليماً ولم يقتل

فالحراسة منعت الإجهاز على جفنة، وأنطلقت لسان الحارس فيخبرنا دوره..

5. الرسائل

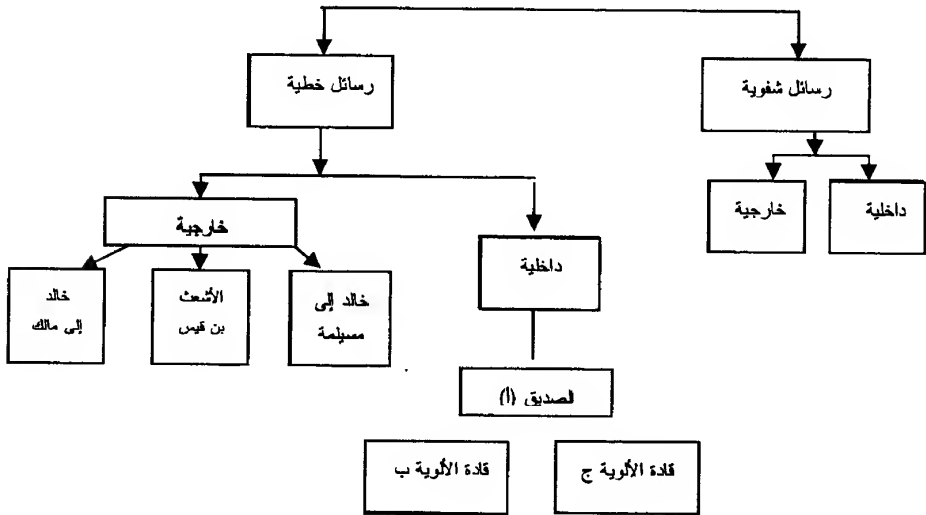
تعد الرسائل من أبرز وسائل الاتصالات في حروب الردة خاصة عند المسلمين، بدءاً برسائل الصديق ﷺ إلى قادة ألوية المسلمين الأحد عشر، مروراً برسائل قادة الألوية إلى الصديق ﷺ، وقادة الألوية إلى بعضهم، وقد برز في الرسائل نوعان منها هي: رسائل خطبة ورسائل شفوية، أما عن الرسائل الشفوية التي هي كالتعليمات

فبرزت تعليمات الصديق^{عليه السلام} الشفوية إلى حراس المدينة أثناء حملة أسامة إلى مؤنة، ولوجب الحراس أن يبلغوا الصديق^{عليه السلام} عن كل طارق للمدينة، غازياً كان أم دافع صدقات للاستعداد وكلماتها الرمزية " بشير " و " نذير ".
والرسائل كانت داخلية بين أطراف القتال مسلمين ومرتبين، كما كانت مراسلات خارجية جرت بين طرفي القتال في سوح القتال.

والرسائل كان يحملها مراسلون ذكرت الدراسة بعض أسمائهم، كما تضمنت الرسائل أنموذجاً شعرياً قالها بعضهم يصف حالته كأنما هي برقية مشفرة - اليوم - لإنقاذه.

ولعل التقصي الدقيق للرسائل في حروب الردة يحل بحثاً منفصلاً قد يخرج عن مضامنه، لذا نتكلف مخططاً هيكلياً تبين أنموذجاً من الرسائل، إذ قليلها في هذا المجال يغني عن غيرها.

5-1 مخطط مشجر لرسائل المسلمين



(5-أ) الرسائل الشفوية

أما من الرسائل الشفوية فأوامر نحو رسالة الصديق ﷺ إلى سيف الله المسلول يأمره شفويًا أن يتحرك إلى محوره ضد طليحة الأسدي، وإذا أنجز مهمته هناك عليه، أن يتحرك إلى البطاح من أرض تميم، حيث يلقي مالك بن نويرة وأصحابه، وأبلغ خالدًا لعلّه يلقاه من ناحية أخرى، ويقول الصديق في رسالته الشفوية إلى خالد "يا خالد، سِرْ نحو طليحة بن خويلد الأسدي، ومن مَعَهُ من بني أسد وغطفان وفزارة، وانظر إذا وصلت إلى القوم، ونزلت بديارهم، وسمعت آذانًا؛ فلا تقاتل أحدًا حتى تعذر إليهم وتندّرهم، ثم دَسْ إلى أمرائهم، فأعطهم من المال مع أقدارهم، وانظر إذا وافيتهم فلا تنزلنّ بهم نهاراً فيروا عسكرك، ويعلموا ما فيه من الناس، ولكن انزل بهم ليلاً؛ عند نومهم، ثم ارعوا إليكم وحركوا أسلحتكم، وهولوا عليهم ما قدرتم، وإن أظفركم الله بطليحة ابن خويلد وأصحابه فسيرْ نحو البطاح من أرض تميم، إلى مالك بن نويرة وأصحابه ولعلي أتيك من ناحية أخرى إن قدرنا على ذلك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (43).

إننا نلاحظ في هذه الرسالة تعليمات شفوية، بل هي رسالة شفوية يوجهها الصديق ﷺ إلى سيف الله، يحدد له فيها محور جهاده إلى طليحة الأسدي، ومن معه من المرتدين، ويمنعه من قتالهم إن سمع الأذان في منازلهم، كما يعي تعليمات أخرى، منها أن يدس إلى أمرائهم ويعطيهم المال على أقدارهم عالم بأسباب ردتهم، يعلم من منظور قبلي، كيف يعالج نفوس مشايخهم المرتدة، وإذا تعذرت على خالد هذه الوسيلة فعليه أن ينتزحهم قبل قتاله إياهم، فسفك الدماء آخر ما التفت إليه الصديق، إذا تمكن بالوسائل الأخرى من إعادتهم من ردتهم إلى الإسلام مؤمنين به يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة.

وفي رسالته الشفوية تلك تبرز تعليمات الصديق عسكرية فذة، فيها خبرة القائد الملم، إذ يطلب من خالد أن ينزل بطليحة ليلاً، لأن في حركته الليلية مفاجأة لطليحة، فلا تعرف أعداء القوة ولا أسلحتها، ولا المحور اللقي الذي يهاجمونه فيه، وهو درس قيادي فيه تحريض على الهجوم الليلي، إذ فيه لوعب للمرتدين، وإقلاق لراحتهم عند نومهم خاصة، فتتهار مغنوياتهم، ولا يعلمون عند القوة الهاجمة، فالليل أخفى للويل، ويركز الصديق على الحرب النفسية؛ في رسالته إلى خالد إذ أمره أن يحرك سلاحه، لتسمع قعقعة، ليُمثل مرحلة أولى من الرعب، ووقت نومهم، في الليل، وفي مراحل أخرى، ليهولوا على المرتدين، فتتخلع قلوبهم في مثل هذه الحرب النفسية، خاصة أن الصديق وعد خالدًا بملاقاته من ناحية أخرى، فيما يسمى اليوم "بمحور ثانوي" للإطباق على العدو، وإن كان ذلك من ناحية نفسية، إذ لا يأمن الصديق على أسرارهِ عدوًا، قد يبوح بها أو يستتجها، مما قد تقتل خطة خالد، وقد أنت خطته المحكمة أكلها فانتهصر.

وفي هذه الرسالة المقتضية تحديد مراحل الحرب أيضاً، ذلك أن عمليات خالد من مرحلتين: أولهما إلى طليحة، وإذا أنجز واجبه فيها انتقل إلى الثانية، حيث مالك بن نويرة، ويستقهم سيف الله من الصديق بعد أن سمع توجيهاته بقوله "يا خليفة رسول الله، فإذا أنا وافيت القوم فلإم أدعوهم؟" (44) قال له الصديق: "ادعهم إلى عشر خصال؛ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والطاعة، والجماعة" (45).

إن هذه الرسالة الشفوية من الصديق ﷺ إلى خالد فيها توجية كافٍ إليه، ليعرف مهمته بدقة، وما استفسار خالد تفصيلاً من الصديق ﷺ عما يسألهم إن وافى القوم، وإجابة الصديق ﷺ لخالده، إلا رسالة شفوية أخرى فيها تفهيمه واجباته عند ملاقاته المرتدين، وإن كانت إجابة عن سؤال كبير، عما يفعله إن واجه المرتدين.

ومن الرسائل الشفوية توجيهات استخبارية لاستطلاع قوات المرتدين في أراضي بني أسد، إذ أمر خالد بن الوليد عكاشة بن محصن الأسدي وثابت بن أقرم الأنصاري ومعبد بن عمرو المخزومي أن ينطلقوا إلى مواضع عسكري طليحة ويتجسسوا الخبر عن طليحة وأصحابه (46) وكان جواب الصحابة الثلاثة تنفيذ الأمر، كما ذكرنا، وتذكر طليحة بن خويلد الأسدي الحادثة بعد إسلامه فقال (47).

ذكرت أخي لما عرفت وجوههم وأيقنت أنني نائر لحبال

عشيرة غادرت ابن أقرم ثاوياً وعكاشة الغنمي عند مجل

وها هو ذا طليحة الأسدي يظهر ندمه على قتله المسلمين الثلاثة، وذكر أسماءهم : (48)

ندمت على ما كان من قتل ثابت وعكاشة الغنمي والمرء معبد

وبرز من رسائل الصديق؛ التحريرية والشفوية بأن واحد؛ أرسلها الصديق إلى الأشعث بن قيس الذي حصر المسلمين بقيادة زياد بن لبيد في بلدة تريم بالقرب من حضرموت، واستجذ زياد بالصديق، فبعث الصديق ﷺ بعد مشورة أصحابه - رسالة تحريرية مختومة مع المراسل مسلم بن عبد الله وهي رسالة تحريرية فيها أبيات شعر لحسان تتضمن مطالب الصديق ﷺ من الأشعث؛ أبرزها أن يتقي الأشعث ربه ولا يشرك بالله شيئاً، وينصح الأشعث وقومه بأن يشيموا السيوف ويعودوا إلى الإسلام، فهم ذوو شرف عالٍ، ومحتة تلبد، وطوى الصديق الكتاب وسلمه إلى المراسل مسلم بن عبد الله.

ولما وصل الكتاب إلى الأشعث وقرأه، أقبل على حامل الرسالة وقال له "إن صاحبك أبا بكر هذا يلزمننا بالكفر بمخالفتنا له، ولا يلزم صاحبه (يعني زياد بن لبيد) الكفر بقتله قومي" (49) مما يدل على أن الرسالة تحريرية أما القول بالشفوية فلأن مسلم بن عبد الله أجاب الأشعث بقوله "نعم، يا أشعث يلزمك الكفر، لأن الله - تبارك وتعالى - قد أوجب عليك الكفر، لمخالفتك جماعة المسلمين" فوثب إلى الرسول ﷺ من بني مرة ابن عم الأشعث فضربه بسيفه ضربة فلق هامته، فسقط الرسول ميتاً، فقال الأشعث له مستحسناً فعلته "أقصررت العتاب وأسرعت الجواب مما يدل على أن الرسول كان ينقل رسالة شفوية إضافة إلى تحريرية، أو أنه كان يفهم مضمون الرسالة، وكيف يرد عليها لأنه مخالف للجماعة بدليل رسالة الصديق بعد البسملة (50) "من عبد الله بن عثمان خليفة رسول الله ﷺ وعلى أمته، إلى الأشعث بن قيس ومن معه من قبائل كندة، أما بعد فإن الله - تبارك وتعالى - يقول في كتابه المنزل على نبيه عليه السلام "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون" (51) وأنا آمركم بتقوى الله وحده وأنهاكم أن تنتقضوا عهده، وأن ترجعوا عن دينه إلى غيره، ولا تتبعوا الهوى فيضلكم عن سبيل الله، وإن كان إنما حملكم عن الرجوع عن دين الإسلام ومنع للزكاة ما فعله بكم

عاملي زياد بن لبيد، فإني أعزله عنكم، وأولي عليكم من تحبون، وقد أمرت صاحب كتابي هذا إن أنتم قبلتم الحق أن يأمر زياداً بالانصراف عنكم، فارجعوا إلى الحق، وتوبوا من قريب، وفقنا الله وإياكم لكل ما كان من رضا والسلام⁽⁵²⁾

ثم كتب حسان بن ثابت يقول قطعة من ستة أبيات تتضمن فحوى رسالة الصديق ﷺ حملها مسلم بن عبد الله معه: (53)

أنبيوا إلى الحق يا قومنا	فإني لكم ناصح فاقبلوا
ولا تأنفوا اليوم أن ترجعوا	فإن الرجوع بكم أجل
رميت بنصحي لكم جاهداً	فلا ترتدوا ثم تستجهلوا
فأنتم أنلس لكم سـوودُ	وينميكم الشرف الأطول
صباح الوجوه ناكم إلى	كريم الثنا الشرف الأول
فشيئوا السيوف ولا تبعثوا	حروباً تثل بها النزل

وقد أدى مقتل الرسول ذاك إلى شق عصا الطاعة على الأشعث بن قيس فانصرف عنه أبو قسرة الكندي ورجاله من جهة ذلك قوله مستكراً فعلة الأشعث: (54)

قتلتم رسولاً أن أتى برسالة	وليس عليه أو إليه سبيل
فجئتم بأمر فيه خوف عليكم	وذلك خزي في الحياة طويل

ومن جهة أخرى رحل بنو الأرقم عن الأشعث غضباً لفعلة في قتله رسول أبي بكر ذلك ما أنشأه جبر بن القشعم من شعر دال: (55):

سيرحل عنكم بنو الأرقم	عشية جرت على المسلم
أيؤذي الرسول بأن حلكم	بخط كتاب ولم يحرم
أخاف عليكم بأفعالكم	نحوساً من الطائر الأشأم

5) - (ب) الرسائل الخطية

أما من رسائل المسلمين الخطية فرسالة الصديق ﷺ إلى الألوية الأحذ عشر، التي كانت من نسخة واحدة كتبت إحدى عشرة نسخة بمعدل نسخة لكل قائد لواء، مضمونها واحد، وهي رسالة دلخية بها تعليمات وأقية إلى قادة الألوية، وتعليمات أخرى خارجية إلى مشركي الجزيرة العربية، فيها تحذير من الشرك لعامة المشركين وخاصتهم بدليل قول الصديق⁽⁵⁶⁾: "من عبد الله بن عثمان إلى جميع من قرأ هذا من خاص وعام، أقام على

إسلامه أو رجع عنه، سلام على من أتبع الهدى ورجع من الضلالة والردى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" (57) و "لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ" (58) يهدي الله من أقبل إليه، وضرب بالحق من أدبر عنه وتولى، إني أوصيكم بتقوى الله وأدعوكم إلى ما جاء به نبيكم محمد ﷺ فقد علمتم أنه من لم يؤمن بالله فهو ضال، ومن لم يؤمنه الله فهو خائف، ومن لم يحفظه الله فهو ضائع، ومن لم يصدق أنه فهو كاذب ومن لم ينعذه فهو شقي، ومن لم يرزقه فهو محروم... وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد الإقرار بالإسلام والعمل بشرائعه اغتراراً بالله - عز وجل -، وجهالة بأمره وطاعة للشيطان و" الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير" (59).

وفي الرسالة نفسها، وبعد تحذيره إياهم من الشرك، وتخويفهم من عصيان الله، يخبرهم أنه يوجه إليهم خالد ابن الوليد ومعه تعليمات واضحة لقتالهم، أولها أنه يدعوهم إلى الله عز وجل، ويغزى إليهم وينذر، فمن دخل الإسلام أمن، وإلا فالقتال الشديد، وعرض صنوفاً من العقاب منها؛ الحرق بالنار، وسبي الذراري والنساء، وأخذ الأموال، وقد أعذر من أنذر وبعد، فقد وجهت إليكم خالد بن الوليد في جيش من المهاجرين والأنصار، وأمرته أن لا يقاتل أحداً حتى يدعو إلى الله عز وجل، ويعذر إليه وينذر، فمن دخل في الطاعة، وسارع إلى الجماعة، ورجع من المعصية إلى ما كان يعرف من دين الإسلام، ثم تاب إلى الله تعالى وعمل صالحاً، قبل الله منه ذلك، وأعانه عليه، ومن أبى أن يرجع إلى الإسلام بعد أن يدعو خالد بن الوليد ويعذر إليه، فقد أمرته أن يقاتله أشد القتال، بنفسه ومن معه من أنصار دين الله وأعوانه، وعليه ألا يترك أمراً قدر عليه إلا أحرق بالنار إحراقاً ويسبي الذراري والنساء، ويأخذ الأموال، فقد أعذر من أنذر، والسلام على عباد الله المؤمنين ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى خالد، وأمره أن يعمل بما فيه.

ويبدو أن رسالة الصديق ذات شقين: أحدهما مؤجة إلى المشركين ليعودوا إلى سابق عهدهم بالإسلام فعسى أن يغفر الله لهم، والثاني تهديد ووعيد لمن ظل على شركه.

وقد أحدثت رسالة الصديق ﷺ أثراً في نفوس المتلقين، إذ أرسل ضرار بن الأزور الأسدي رسالة إلى قومه يحذرهم من كذب طليحة بن خويلد الأسدي وسخره وكهانيته، وأخذ عليهم إيمانهم في الضلالة والكفر، وتلميذهم، لأن في ذلك سبى النساء وسفك الدماء منها قوله (60):

بنو أسد ما لكم عاذر	يرد على السامع الناظر
فهل لكم اليوم من مخبر	يخبر عن كاهن ساحر
طليحة أكذب من يلّمع (61)	وأشأم في الشوم من قاشر (62)
كاني بكم قد حوى جمعكم	وجمع السقاء بني عامر

ومن مراسلات الصديق عليه السلام مراسلاته إلى قادة الألوية منهم خالد بن الوليد إذ تضمنت رسائله إليه الشكر حيناً، واللوم حيناً آخر، إذ شكره بعد انتصاره على طليحة الأسدي قال له: "إِنَّكَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ خيراً، وَاَتَّقِ اللَّهَ فِي أَمْرِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ، كَمَا شَكَرَهُ بَعْدَ انتصاراته فِي بُرَاخَةَ، وَأَمْرَةَ بَانَ يُوَاصِلَ هُجُومَهُ عَلَى الْيَمَامَةِ حَسَبِ الْخَطَةِ الَّتِي كَانَ رَسَمَهَا لَهُ الصَّدِيقُ عليه السلام لِإِنْجَارِهَا عَلَى مَرَاكِلَ قَالَ لَهُ فِيهَا "مَنْ أَبِي بَكْرٍ إِلَى خَالِدٍ، أَمَا بَعْدُ؟ فَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِكَ مَعَ رَسُولِكَ، تَذَكُّرٌ مَا أَظْفَرَكَ اللَّهُ بِبُرَاخَةَ، وَمَا فَعَلْتَ بِأَسَدٍ، وَأَنْتَ سَائِرٌ إِلَى الْيَمَامَةِ، وَذَلِكَ عَهْدِي بِكَ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعَلَيْكَ بِالرَّفَقِ بِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كُنْ لَهُمْ كَالْوَالِدِ"⁽⁶³⁾ كما لَامَ الصَّدِيقُ عليه السلام خَالِدًا لَزَوَاجِهِ مِنْ ابْنَةِ مُجَاعَةَ الَّذِي خَدَعَهُ وَصَالِحَ قَوْمِهِ ظَنًّا أَنْ فِي الْحَصُونِ رَجَالًا مَعَ أَنْهُمْ كُنْ نِسَاءً بِلِبَاسِ رَجَالٍ، كَمَا لَامَهُ عَلَى زَوَاجِهِ مِنْهَا فِي سُورِ الْجِهَادِ وَفِي مَرَدَّةِ خَالِدٍ دِمَاءَ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ شَهِيدٍ مُسْلِمًا تَسْمَوُا مَدَارِجَ الشَّهَدَاءِ، فِي عَقْرِبَاءِ الْيَمَامَةِ، إِذْ قَالَ لَهُ الصَّدِيقُ "يَا خَالِدُ! لَيْنَ أُمِّ خَالِدٍ، إِنَّكَ لَفَارُغٌ تَنْكِحُ النِّسَاءَ وَتَعْرُسُ بَهْنَ وَبِيَابِكِ دِمَاءَ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَجِبْ بَعْدُ، ثُمَّ خَدَعَكَ مُجَاعَةُ - عَنْ رَأْيِكَ - فَصَالَحَكَ عَلَى قَوْمٍ وَقَدْ أَمَكُنَ لَكَ مِنْهُمْ"⁽⁶⁴⁾ "وَقَدْ أَدْرَجَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ قَصِيدَةَ الصَّدِيقِ عليه السلام يَصِفُ فِيهَا خَطَرَةَ زَوَاجِ خَالِدٍ مِنْ ابْنَةِ مُجَاعَةَ، وَفِي سَاحَةِ دِمَاءِ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ مُسْلِمًا لَمْ يَجِبْ بَعْدُ؛ قَالَ (65):

أَلَا أَلْبِغُ الصَّدِيقَ قَوْلًا كَأَنَّهُ	إِذَا بُتَّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُبَارِدُ
أَتَرْضَى بَانًا لَا تَجِبُ دِمَاؤُنَا	وَهَذَا عَرُوسٌ بِالْيَمَامَةِ خَالِدُ
فَكَيْفَ بِأَلْفٍ قَدْ أَصِيبُوا وَنَقِبُ	عَلَى الْمِائَتَيْنِ الْيَوْمَ أَوْ زَادَ زَانِدُ
فَإِنْ تَرْضَ هَذَا فَالرَّضَا مَا رَضِيتهُ	وَالْإِذَا يَأْخُذُ مِنْ تَحْتِ رَاقِدُ

والحقُ فإن رسائل الصديق عليه السلام لخالد تمتاز بسمات منها؛ شكره، وتوجيهه، ولومه إياه على زواجه مرتين في بُرَاخَةَ واليَمَامَةِ، كما تمتاز من جهة أخرى برَدِّ خَالِدٍ عَلَى الصَّدِيقِ عليه السلام وَضَحُّ فِيهَا وَجْهَةَ نَظَرِهِ، وَحَاجَجِ الصَّدِيقِ بِصَحَّةِ زَوَاجِهِ بَعْدَ انْتِصَارِهِ عَلَى مُسَيْلَمَةَ، وَمَا زَوَاجِهِ بِمَحْرَمٍ، وَفِيهَا أَنَّهُ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ مَرَّةً فَلَمْ يَمُتْ، وَلَوْ كَانَ الْحُزْنَ يَعِيدُ الْمَوْتَ لِحُزْنٍ، وَمَا الْمَانِعُ مِنْ زَوَاجِهِ بَعْدَ أَنْ أَوْرَثَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ الْأَرْضَ وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ خَيْرَ الدَّرَايِنِ؟!

وقد ردَّ خالد على الصديق عليه السلام برسالة أزجهاها مع مراسل حربي "رسول" يدعي سلمة بن سلمة قائلاً له فيها منها "فَإِنْ كُنْتُ لَدَيْنِ أَوْ دُنْيَا أَعْتَبْتُكَ، وَأَمَّا حُسْنُ عَزَائِي عَلَى قَتْلِ الْمُسْلِمِينَ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ الْحُزْنُ يَبْقِي حَيًّا، أَوْ يَرُدُّ مَيِّتًا، لَأَبْقَى حُزْنِي الْحَيِّ، وَرَدَّ الْمَيِّتِ، وَلَقَدْ أَقْحَمْتُ فِي طَلَبِ الشَّهَادَةِ، حَتَّى يَسْتُ مِنَ الْحَيَاةِ، وَأَبْقَيْتُ بِالْمَوْتِ، وَقَدْ صَنَعَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، أَوْرَثَهُمُ الْأَرْضَ، وَجَعَلَ لَهُمْ عَاقِبَةَ الْمُتَّقِينَ" (66).

والزواج في ساحة المعركة ليس حراماً، وإلا لما سكنت الصديق عليه السلام الذي إليه تنتهي الأخبار عن خالد، وما كان للصحابه أن تسكت على زواجه، لأنَّ الشريعة الإسلامية تبيحه وزواج الرسول الكريم من صفية شاهد في خير.

ومن مراسلات الصديق عليه السلام إلى قادة الألوية لومه عكرمة بن أبي جهل، وسمّاه بابن السوداء، لأن أمه مجالدة امرأة من بني هلال بن عامر، لأم نوبية، والصديق عليه السلام نسبة يعرف نسب جدة عكرمة، لأمه الصديق، لأنه تعجّل في هجومه على مسيلمة الكذاب، دون ما أمر من الصديق، فنكّب عكرمة فلامه الصديق عليه السلام ونزل رتبته من قائد لواء إلى مساعد؛ يساند غيره، ويقاتل أهل عُمان ومهرة، لأن عكرمة بن أبي جهل عليه السلام لم ينتظر وصول لواء شرحبيل ليهجما معاً على مسيلمة، وكان قصد عكرمة أن يحظى بسبق النصر، فانهزم فأرسل إليه الصديق عليه السلام رسالة يقول له فيها: "يا ابن لم عكرمة، لا أرئيك ولا تراني على حال، ولا ترجع فتوهن الجند، امض على وجهك حتى تساند حذيفة وعرفجة، ثم تسيرا وتسيرا جُنْدُكَ تَسْتَبْرِؤُونَ مِنْ مَرَزَتَمَ بِهِ، حَتَّى تَلْتَقُوا أَنْتُمْ وَالْمَهَاجِرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بِالْيَمَنِ وَحَضَرَ مَوْتَ" (67). وكان عكرمة بن أبي جهل أرسل للصديق عليه السلام رسالة يبلغه فيها هزيمته أمام مسيلمة، فأرسل إليه الصديق عليه السلام تلك التي بأعلاه (68).

لقد كانت مراسلات الصديق عليه السلام إلى قادة ألويته دقيقة وسريعة، تنقل إلى مقر قيادته في المدينة، أخبار الجبهات بسرعة، وكان من أبرز المراسلين له أبو خيثمة النجاري، وسلمة بن سلامة، وأبو برزة الأسلمي وسلمة ابن وقش (69).

لقد كان الصديق عليه السلام جغرافياً دقيقاً يعرف أماكن جنده، وقادتهم بدقة، بليل أنه كتب إلى شرحبيل بن حسنة، وكأنما يراقب مكانهم، ويعرف أهمية وجوده فيه. ابقَ حيث أنتَ حتى يأتيتك أمري (70)، وكتب إلى طريفة بن حاجر يعلمه بأمر الفجاءة الذي كذب على الصديق عليه السلام مدعياً رغبته في نصرة المسلمين، فزوده بالرجال والخيل والسلاح، فقتل المسلمين، ووزع سلاحهم على الرعاع فعاثوا في الأرض فساداً، لا يميزون بين مسلم ومرتد؛ فأرسل الصديق عليه السلام له رسالة مختصرة فيها "بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر الصديق عليه السلام خليفة رسول الله إلى طريفة بن حاجر، سلام عليك فإني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد وآله أما بعد؛ فإن عدو الله الفجاءة أتاني فزعم أنه مسلم وسألني أن أقويه على قتال من ارتد عن الإسلام، فقويته، وقد انتهت إلي الخبر اليقين، أنه قد استعرض المسلم والمرتد، بأخذ أموالهم، ويقتل من امتنع منهم، فسِرَ إليه بمن معك من المسلمين، حتى تقتله أو تأسره، فتأتيني به في وثاق إن شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله" (71).

لقد اختصر الصديق له حادثة الفجاءة، وحدد مهمته إليه، فجاء به أسيراً محروساً، فمطّط الصديق عليه السلام حرقه، ونعرض مشهدين للفجاءة بالسلاح والرجال فحاذ بهم إلى غير الطريق المخصص له من الصديق عليه السلام فقتل الرجال وعاث فساداً في الأرض، لا يميز بين الصالح والطالح فيقول منها (72):

ألم ترني خدعتُ القومَ حتى قَوَّيْتُ بِمَا أَخَذْتُ مِنَ السِّلَاحِ
فَمِلْتُ بِهَا إِلَى الْأَدْنَيْنِ قَتْلًا وَفِي الْأَدْنَيْنِ أَثَرُ الْجِرَاحِ

والمشهد الثاني يقط بعد أسره ويحرق بالنار فيتشفى المسلمون بحرقه جزاءً وفاقاً، فقيل فيه (73):

إِنْ حَرَقَ الْفُجَاءَةُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى مَنْ أَرَقَ بِالْإِسْلَامِ
أَخَذَ الْخَيْلَ وَالسَّلَاحَ عَلَى الْعَهْدِ فَخَانَ الْفُجَاءَةَ عَهْدَ الْإِمَامِ

ويبدو أنَّ الصديق عليه السلام كان يرسلُ الكتابَ تلوَ الكتابِ إلى خالد خاصةً، لصعوبةِ محور جهاده وملاقاته أشرس الأعداء؛ ويحذِّره من شرِّ بني حذيفة ويزوِّده بمعلومات عنهم، ويَعْرِضُ عليه خطةً حربيةً لقتالهم، السهم للرمح والرمح للرمح والسيف للسيف، ويحذِّره منهم فكلُّ بني حذيفة عليه وأرضهم واسعة، وما على خالد إلا أن يباشر المعركة بنفسه، ولا بد أن يستشير كبار الصحابة، ولا بد من اتخاذهِ تشكيلةً للجهاد ميمنة وميسرة وخيلاً وساقاً، لقد أرسل الصديق عليه السلام هذه الرسالة مع شريك الفزاري فيها:

"أما بعد؛ فقد جاء كتابك مع رسولك؛ تذكرُ ما أظفرك الله بأهلِ بزاخة، وما فعلت بأسد وغطفان، وإنك سائر إلى اليمامة وذلك عهدي بك فاتق الله وحده لا شريك له، وعليك بالرفق بمن معك من المسلمين، كن لهم كالوالد، وإياك يا خالد نخوة بني المغيرة، فإنني قد عصيتُ فيك من لم أعصيه في شيء قط، فانظر بني حذيفة إذا لقيتهم، إن شاء الله، فإنك لم تلقَ قوماً يُشبهون بني حذيفة، كلَّهم عليك، ولهم بلاد واسعة، فإذا قيمت فباشر الأمر بنفسك، واجعل على ميمنتك رجلاً، وعلى ميسرتك رجلاً، واجعل خلفك رجلاً، واستشر من معك من الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، واعرف لهم فضلهم، فإذا لقيت القومَ وهم على صفوفهم، فالفهم إن شاء الله وقد أعددتُ للأمور أقرانها، فالسهم للسهم والرمح للرمح والسيف للسيف، وأحمل أسيرهم على السيف وهول فيهم القتل، وأخزفهم بالنار، وإياك أن تخالف أمري، والسلام عليك" (74). فلما وصل الكتاب إلى خالد قرأه وقال: "سمع وطاعة" (75) إنها تعليمات حربية بتقيد بها خالد، وكان يعتم هذه الكتب المهمة. وكان الصديق عليه السلام يهتم بمحور خالد، لأنه أهم المحاور، وكان يكثر من مراسلة خالد، بدليل قوله لو قد بني حذيفة: "أما إنني قد كتبتُ إلى خالد كتاباً في إثر كتابِ امرئ أن لا يستقي من بني حذيفة أحداً مرَّت عليه موسى" (76) مما يدل على تتابع مراسلاته إلى خالد لمعرفة حالته الحربية في مسرح العمليات والتطورات ميدانياً توجيهاته إلى خالد بن الوليد.

واستكمالاً لدائرة الاتصالات المركزية فقد راسل الصديق عليه السلام بعض الولاة؛ يبلغونه بأوضاع ما استجد من شئ في ولاياتهم منهم زياد بن لبيد والي كنده، إذ أبلغ الصديق إجماع بني كنده على محاربتهم، وقد حصروه في مدينة تريم بالقرب من حضرموت، وها هو زياد يطلب من الصديق عليه السلام النجدة والإسراع بها، فأنشأ الجبر بن قشعم يلخص استجداد زياد بالصديق عليه السلام منها قوله (77):

أخبر زياداً أن كنده أجمعت	طراً عليك فكيف تلك تصنع؟
أحياء كنده قد أتتك بجمعها	ولديك منها جيرة لو تنفع
قد صيرتكَ إلى التحصن صاعراً	حتى كتبت إلى عتيق تضرع
فاصبر ولا تجزع لو وقع سيفنا	لئن الكريم إذا جنى لا يجزع

وما إن وصلت الرسالة إلى الصديق عليه السلام حتى اغتم واستشار، فأرسل إلى الأشعث رسالةً أشرنا إليها من قبل، مما يدل على اكتمال حلقة الاتصال بين الصديق عليه السلام وقادته سواء أكانوا قادة ألوية أم حكّام ولايات.

والمراسلات الجانبية بين قادة الألوية تستكمل صورة الجهاد، إذ إنَّ زياد بن لبيد كان يرأسُ المهاجرَ بن أمية يستجدهُ على الأشعث وقومه بني كندة، فلما استجده زيادُ سارَ إليه فيمن معه، وهم ألف فارس تعزيزاً له، وبلغت الأشعثُ هذه الأخبارُ، فمَكَرَ بالمهاجر، إذ أخلَى للمهاجر بابَ حصن تَرِيمَ فدخلها؛ لنجدة زياد، فرجع الأشعثُ وجَلَسَ على الباب وأحضره معه⁽⁷⁸⁾، وتطوّرت أحداثُ الحصار هذا، فأرسلَ الصّدّيقُ ﷺ رسالةً إلى الأشعث؛ يطلبُ منه أن يَسِيْرَ السيفَ كما أشرنا إليها، وقد أرسل زياد بن لبيد إلى الصّدّيقُ ﷺ رسالةً يستنجد به ويخبره بقتل الرسول ويعلمه بأنه محاصرٌ في تَرِيمَ "يقول فيها"⁽⁷⁹⁾:

هل راكبٌ يردُ المدينةَ مُخْبِراً	رَهْطَ الرسولِ وسادةَ الأنصار
ويقولُ للصّدّيقِ عِنْدَ لِقَائِهِ	والنمْعُ يهْمِي كالبدْيِ الجاري
إنّا حُصِرْنَا في تَرِيمَ كأنّنا	بالمرهفات وبالقنا الخُطَارِ
فأمنعُهم بمهاجرينَ قوَارِسِ	فرسانَ صدوق، من بني نَجَلِ

وَبِكُلِّ قَرْنٍ في الهِجَابِ مُهَنْبٍ وَيُتَطَوَّرُ خَبَرُ حِصَارِ الْمُسْلِمِينَ في تَرِيمَ" فيستثيرُ الصّدّيقُ ﷺ صَحْبَهُ، فيرى الفاروقُ أن يكتبَ إلى عكرمةَ بن أبي جهلٍ، وكان في مكة لينجده، ولا يرسلُ علياً؛ لأنه على شدته قد "يأبى قتالَ القوم فلا يقاتلهم، فإن أبي فلن تجد أحداً يسيرُ إليهم، إلا على المُكْرَةِ منه"⁽⁸⁰⁾، فأخذ الصّدّيقُ ﷺ برأي الفاروق وكتبَ إلى عكرمة، يأمره بنجدة زياد بن لبيد، ويَعْلِمُهُ الموقفَ، ويعينه مساعداً لزياد بن لبيد، ويأمره أن يستنهضَ في حملته من الرجال في محورِ حركته إليه هذا نصّه: "أما بعدُ؛ فقد بلغك ما كان من أمرِ الأشعثِ بن قيسٍ وقبائل كِنْدَةَ، وقد أتاني كتابُ زياد بن لبيد، يذكرُ أن قبائل كندة قد اجتمعوا عليه وعلى أصحابه، وقد حصروهم في تَرِيمَ" بحضر موت، فإذا قرأتَ كتابي هذا، فسرّ إلى زياد بن لبيد في جميع أصحابك، ومن أجابك من أهل مكة، واسمع له وأطع، فإنه الأميرُ عليك وانظر لا تمرنْ بحَيٍّ من أحياء العربِ إلا استنهضتْهم فأخرجتهم معك إلى محاربةِ الأشعث بن قيس وأصحابه إن شاء الله والسلام"⁽⁸¹⁾.

فتلحظ في هذه الرسالة أموراً منها، إكمال دائرة المعلومات بين القيادة العليا في المدينة ولطراف القاعدة؛ منهم، زياد وعكرمة بن أبي جهل، وهو ما يسمى بالتنسيق الجانبي، إذ كان زيادُ أبلغَ عكرمةَ بوضعه محصوراً في تريم، بليل قول الصّدّيقِ لعكرمة "فقد بلغك ما كان من أمرِ الأشعث" مما يدلُّ على تبادلِ المعلومات الجانبية بين القادة كما تلحظ في رسالة الصّدّيقِ ﷺ لا إخفاء المراسل، لأن المهمَّ وصولُ الرسالة، وتلحظ معرفة الصّدّيقِ ﷺ الدقيقة بموقع عكرمة في مكة، وإبلاغه بتفاصيل مهمته الجديدة، وتعيين منصبه مساعداً لزياد بن لبيد، وتحديد مهمته وهي فكُّ الحصار عن زياد في تريم، وعليه أن يستنصرَ من أهل مكة ما أمكنه، ثم يوصيه بإطاعة زياد، بكلمات مختصرة، لا تجد فيها حرفاً واحداً أخرج حشواً، ولا يستغنى عن حرف فيها وما إن وصلت الرسالة إلى عكرمة حتى عممها على جنده، وأفهمهم إياها وبدأ بتنفيذ الأمر.

لقد تمحورَ عكرمةُ إلى نجران - صنعاء - مأرب - دبا ، فعرض على جرير البجليّ في نجران فأبى، فتركه، أما أهلُ صنعاء فأجابوه وتوجّه بهم إلى مأرب فنزلها، ولمّا بلغ أهل دبا غضبوا على مسيرِ عكرمة إلى محاربةِ كِنْدَةَ، فطردوا حذيفة بن عمرو، والي أبي بكر، فالتحق بعكرمة وكتب حذيفة بن عمرو، إلى الصّدِّيق ﷺ يبلغه ذلك، فلما وصلت للصدِّيق رسالتهُ غيرَ مهمةٍ عكرمة ؛ وطلب منه أن لا يقصّرَ فيهم، وأن يرسلهم أسرى إليه، ممّا يدلُّ على أهمية الاتصالات في الميدان، إذ بها يتمُّ معالجة الأمور الطارئة، وهذا نصُّ رسالة الصّدِّيق ﷺ إلى عكرمة "أما بعد؛ فإذا قرأت كتابي هذا فسر إلى أهل دبا على بركة الله، فأنزل بهم ما هم له أهل، ولا تقصّر فيما كتبت به إليك، فإذا فرغت من أمرهم فأبعث لي بهم أسرى، وسرّ إلى زياد بن لبيد، فحسى الله أن يفتح على يديك بلادَ حضر موت، إن شاء الله تعالى، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" (82). إن للمراسلة بين الصّدِّيق ﷺ وعكرمة، دوراً في تنفيذ أمرِ الصّدِّيق ﷺ فهاجمهم عكرمة - وقتل من أهل دبا ما يزيد على مائة رجل، وحاصروهم في بلدتهم، وشدّ عليهم الحصار، ثم أخرجوا من بلدتهم دون سلاح، وقُتِلَ أشرفُهم، وسبيت نساؤهم وأولادهم، وبلغ عدّد الأسرى ثلاثمائة رجل من المقاتلة، وأربعمائة من النساء والذريّ وأرسلوا إلى الصّدِّيق (83)، ويتابعُ عكرمة مهمتهُ إلى "تريم"، ويحصُرُ الأشعثَ في حصن النُجَيْر "حضر موت" بدليل قول الجبر بن قشعم الأرقمي (84) :

قد حُصِرَت كِنْدَةُ في النُجَيْرِ

ما إن لها عن الدفاع غيري

ويؤسّرُ الأشعثُ بن قيس، وكاد يُقتلَ لولا رسالة من الصّدِّيق ﷺ وصَلَتْ إلى زياد بن لبيد تأمره بإرسال الأشعث إلى الصّدِّيق ﷺ أسيراً يقول الصّدِّيق ﷺ فيها "أما بعد؛ يا زياد، فقد بلغني أن الأشعثَ بن قيس قد سألَكَ الأمان، وقد نَزَلَ على حكمي، فإذا وَرَدَ عليك كتابي هذا، فاحمله إلى مكرماً، ولا تقتلَنَّ أحداً من أشراف كِنْدَةَ صغيراً ولا كبيراً والسلام" (85).

ولعل رسالة الصّدِّيق هذه تُدلُّ على دقة متابعة الصّدِّيق ﷺ مجريات الأحداث لحظة لحظة، كما تدلُّ على كثرة المراسلين ممن يبلغون المعلومات والأخبار من القاعدة إلى القمة وبالعكس على مدار الساعة، لأن في الرسالة هذه معلومات تدلُّ على متابعة دقيقة لها، وآية ذلك أن الأشعث طلب الأمان له، ولعشرة من قومه مقابل تسليم حصن "النُجَيْر"، لكنه لم يدرج اسمه معهم لأنه يفهم ضمناً، فأراد زياد قتله فرفض الأشعث محاكمته أمامه وطلب محاكمته أمام الصّدِّيق؛ عزّز ذلك بقصيدة من سبعة أبيات منها قوله (86):

ما كنت أنسى في أمانك فاعلمن نفسي واثبتَ غيرها يا خاسرُ

لو خفتُ غدرك يا زيادُ سفاهةً ما كان غيري في الكتاب العاشرُ

ومن المراسلات الداخلية الإسلامية أن تكون كأنها برقية مشفرة - في أيامنا - من جندي محاصر في حصن - جواش - حضر موت - إلى العلاء الحضرمي، يبلغه أن القوم المحاصرين ليس لهم إلا البيات، كما أشرت إلى ذلك من قبل.

لقد اتضح من المراسلات الخارجية، عرض الصديق عليه يعزل زياد بن أبيد والي حضر موت، لأنه كان سبباً لنشوب نزاع بينه وبين الكنديين في رسالته إلى الأشعث بن قيس كما أسلفنا.

ومن المراسلات الخارجية اتصال بين خالد بن الوليد ومالك بن نويرة الذي جعل إبل الصدقة ومنع الزكاة، وأجلف في منافرة خالد بن الوليد، فأمر خالد بضرب عنقه فضربت، وقد جرت المنافرة بينهما عندما قدم خالد بن الوليد مالك بن نويرة لضرب عنقه، فقال مالك: "أقتلني وأنا مسلم أصلي للقبلة" فقال له خالد: "لو كنت مسلماً لما منعت الزكاة ولا أمرت قومك بمنعها"⁽⁸⁷⁾. ويبدو أن خالداً قتله لشعره الذي كان حجة عليه قاله في تحريض قومه على أخذ أموالهم ونصحهم ألا يدفعوها صدقة إلى المسلمين بقوله⁽⁸⁸⁾:

يقول رجال سئد اليوم مالك	وقوم يقولون مالك لم يسئد
وقلت خذوا أموالكم غير خاف	ولا ناظر من تخافون من غد
ودونكموها إنها صدقاتكم	مصررة لأخلافها لم تجدد
فإن قام بالأمر المخوف قائم	أطعنا وقتلنا الدين دين محمد
وإلا فلسنا فقرة بتونوفة	ولا شحم شاء أو طباء بغدغ

فقتل مالك مبررً ببليل شعره الذي يدينه بتجفيل إبل الصدقة، وتحريضه قومه على منع الصدقات وانتظار القائم بالأمر، فإن كان من يرضاه قبل به، وإلا رفضه ولطالما أن الصديق عليه خلف بالبيعة الصغرى والكبرى، فما المانع من أن يكون مالك من مقيمي الصلاة ودافعي الزكاة؟، ومن القائم المنتظر الذي يسبق الصديق عليه قدمه في الخلافة؟!

ومن المراسلات الإسلامية الخارجية رسالة شعرية قالها طلحة بن خويلد الأسدي نادماً لردته عن الإسلام عمداً، وقتله عدداً من المسلمين في تصديه لرجال خالد، وما هو يعتذر للصديق عما كان بدر منه، ويطلب الصفح من الصديق عليه فهل يسمح له بالعودة من الشام بعد أن التجأ إليها غريباً طريداً؟ وهو الذي بقي على دينه مسلماً، وما هو بمشرك ولا منافق، ولا هو بيهودي ولا نصراني، وإنما فتنة إبليس⁽⁸⁹⁾:

ندمت على ما كان من قتل ثابت	وعكاشة الغنمي والمرء معبد
وأعظم من هاتين عندي مصيبة	رجوعي عن الإسلام رأيي لتعمد
وترك بلادي والحوادث جمّة	طريداً وقدماً كنت غير مطرد

فهل يقبلُ الصَّدِيقُ أَنِّي مراجعُ ومعطي لما أحدثت من حدث يدي؟!
ولكن رمى إيليسُ قلبي بفتنةٍ ظلمتُ بها، أشتى، وأخلفت موعدي

فلما انتهى إلى الصَّدِيقِ خبر الرسالة وقرئت عليه رقَّ أبو بكر له وعلم أنه ندم (90).

ومن الاتصالات الإسلامية الخارجية توسط الفاروق عند الصَّدِيقِ   ليعفو عن وفد بني حذيفة، مع أن أحد أفراد الوفد كان قتل زيد بن الخطاب شقيق الفاروق، وعلى الرغم من مرارة الموقف المؤلم الذي تجرعه الفاروق من وصف قتله أخاه، لكن هذا لم يمنع الفاروق لجلالة قدره أن يتوسط لهم عند الصَّدِيقِ ليعفو عنهم، على أن ينصحوهم للإسلام، كما في المحاوراة التالية:

قال مُجَاعَة: من هذان الغلامان؟ قال عمر: هذان ابنا زيد بن الخطاب رحمه الله. مُجَاعَة: (وجمعنا لأننا قتلنا زيدا) قال عمر: أفياكم قاتل زيد؟! فقام أبو مريم وقال: أنا قاتل زيد. قال عمر: وكيف قتلته؟ قال أبو مريم: اضطربت أنا وهو بالسيوفين حتى انقطعنا، ثم اطعنا بالرمحين حتى تكسرا، ثم اضطرعنا فشطحته بالسكين شحطاً. (ووجع القوم) فقال عمر: مالكم سكتم؟ هذا أمرٌ قد ذهب، حاجتكم؟ قالوا: احتبسنا ولا نقدر على الدخول على أبي بكر، ولا الرواح إلى بلادنا، قال عمر: "عليكم عهدُ الله وكفالتُهُ أن تناصحوا الإسلام وأهله" قالوا: "نعم"، قال عمر: "ارجعوا حتى تأتونني هذه الساعة من غد فأوصلكم إلى أبي بكر" ولوصلهم الفاروق إلى الصَّدِيقِ، وسمع الصَّدِيقُ من بعضهم جزءاً من قرآن مسيلمة، فاسترجع الصَّدِيقُ   وقال وَيَحْكُمُ أَيُّ كَلام هذا؟ (91)

ومن اتصالات المسلمين اتخاذ خالد بن الوليد موقعاً مسيطرأ، استطلع منه مَسْرَحَ العمليات، شأنه موقعه في عقرباء اليمامة، إذ قَدَرَ مَوْقِفَهُ عن العدو والأرض والأسلحة، وقد ضَرَبَ خالداً عسكره في عقرباء وسارَ مسيلمةُ في جمع بني حذيفة حتى نَزَلَ جِذاء خالداً، فأقاموا يومهم ذلك، ينظرُ بعضهم إلى بعض وعبي خالد جيشه هناك، (92) وكانت المواقع المسيطرة خيرَ وسيلة اتصال، يستطلع كلُّ من الجيشين مواقع الآخر. لقد سلَّت بنو حذيفةُ سيوفها في أجفانها وأبرقوا بها، وضجوا ضجَّةً، ونظروا نظرةً منكراً في حالة من الإرهاب النفسي، غير أن خالد بن الوليد حلَّ الموقف بقوله 'ابشروا فإنَّ القوم مخذولون إن شاء الله تعالى، وإنما سلَّوا السيوف ليرهبوكم، ولم يفعلوا إلا جَزَعاً، فقال خالد متقدماً جيشه (93):

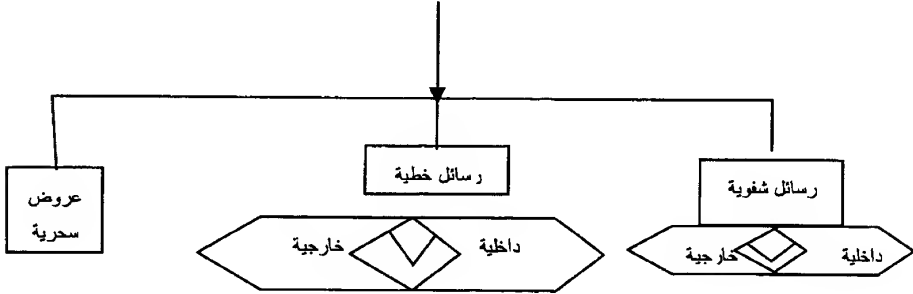
لا توعدونا بالسيوف المبرقة

لا ذهبٌ يُنجيكم ولا رِقة

وخالداً من ربِّه على تقه

أما رسائل المرتدين بنوعها الشفهية والتحريرية فهي مشجرة في المخطط التالي:

مخطط رسائل المرتدين في حروب الردة



أما من أبرز اتصالات المرتدين الشفوية- اتصالات طليحة الأسدي؛ داخلية وخارجية.

أما اتصالاته الداخلية فتنبأ في حياة الرسول ﷺ مدعيًا أن جبريل يأتيه، وكان يسجّع للنس الأكثيب، ولو فهمهم بترك السجود في الصلاة يقول لهم "إن الله لا يصنع بتغير وجوهكم وتبيح أدباركم شيئاً، اذكروا الله وعبده قِياماً" (94) واقتنع بنيوت بعض الأعراب من أسد وغطفان وطيء على حدود أراضيهم وأسد بـ"سميراء"، واجتمعت عبس وثعلبة ومرة بالأبرق من الرَبْدَة (95)، أما اتصالاته الخارجية فبدأت بزيارة شخصية، إذ قَدِمَ على النبي ﷺ في وفد بني أسد سنة تسع، واسلموا، ولما رجع طليحة ارتد، فأرسل إليه ضرار بن الأزور فضربه فلم يقتله، فزاده غروراً، وشاع في الناس أن السَّلاح لا يؤثر فيه، ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم - كثر أشياؤه (96)، وقد تباهى طليحة أن نجا من ضربة ضرار فقال: (97)

وأقسمتُ لا يلي بي الموتُ حيلةً وبأقي عُمرَ دُونَهُ وسِرارُ

وانفكُ من عوف الخنا ولروعه ويشربُ منها بالمرارِ ضرار

فأجابه ضرار بن الأزور الأسدي يُقسمُ أن سيظلُّ مذعوراً خائباً خائفاً ولا ينجيه منه رحم ولا جوار أرض (98):

أُفْسَمْتُ لا تنفكُ خزيلان خائفاً وإن نَزَحْتُ بالمسلمين ديارُ

وانفكُ حتى أقرع التُّركَ طامعاً وتُقطَعُ قُرْبى بيننا وجوارُ

وثمة اتصالات داخل أتون المعركة في أيام بُرَاخَة مع خالد بن الوليد حيث يضيّقُ عُيْنِيَة بن حصن بالحرب الضروس مع خالد ذرعاً بوطليحة متلفّفاً في عباءة يحشّر ويكنب، ويقول لعينية لما سأله مراراً إن كان جاءه ذو النون بشيء؟ قال: نعم، قد جاعني وقال لي إنَّ لك يوماً ستلقاه ليس لك أوله، ولكن لك آخره، ورحى كرحاه وحديثاً لا تتساه فقال عينية: "يا بني فزارة، هذا كذاب" (99).

نرى مما سبق اتصالات طليحة الأسدي الداخلية والخارجية وجميعها شفوية، أما التحريرية فأنت قصيدة كتبها إلى الصديق يَتَنَكَّرُ مِمَّ كان بدر منه؛ أشرت إليها سابقاً، أما اتصالات مسيلمة الكذاب فداخلية وخارجية شفوية وتحريرية، وعروضٌ سحرية. فكانت خارجية قبل التنبؤ إذ طاف في أسواق العرب والعجم، نحو سوق الأنبار وسوق الحيرة، وكان يلتمس تعلم الحيل والنجيم والنجار، واختيار النجوم والمتنبئين، وكان أحكم السدنة والخواء، وأصحاب الزجر والخط، ومذهب الكاهن والعياف والساحر وصاحب الجن الذي يزعم أنه معه تابعة، وكان يصب على البيضاء من خل قاطع شديد الحموضة، فيلين قشرة الأعلى ويستطال وينق ويمتد كالعك، وكان يدخل البيضاء في القارورة ضيقة الرأس، ويتركها حتى تجف، فتتنظم وتستدير وتعود لهيئتها الأولى، ويخرجها إلى مُجَاعَة وأهل بيته وهم أعراب، ويدعي أمامهم أعجوبة على أنها آية له فأمّن له مُجَاعَة.

وحمل في جولات معه ريشاً في لون ريش أزواج حمام، وكان يراهن في منزل مُجَاعَة مقاصيص فالتفت بعد أن أراهم الآية في البيض إلى الحمام، فقال لمُجَاعَة: "إلى كم تعذب خلق الله بالقص؟" وسأله مُجَاعَة أن ينبت للحمام أجنحة، وكان يطلب خلوة مكان خلالها يُغرز الريش في جناح الحمام، فيدخل من الريش الذي معه في أجواف الريش المقصوص من عند المقطع والمقص، وقصب الريش أجوف، فلما أوصله طار⁽¹⁰⁰⁾، وخدعهم مسيلمة بأن أرسل طائرة ورقية بها خيطان في ليلة فيها رياح وأمرهم أن لا يقتربوا منه، بل يدخل كل في بيته ويرى من بعيد كيف ينزل الملك إليه، لأن الملائكة تهبط إليه،⁽¹⁰¹⁾ فصدقه فاطبقوا على نصرته فقال لأدهم في احتياله وتمويهه⁽¹⁰²⁾:

ببيضة قارور وراية شادن وتوصيل مقصوص من الطير جادف

واتصل مسيلمة مع القبائل معتمداً على أسجاعه زاعماً كاذباً أن قرأناً أنزل إليه فهذى في "قرآنه" عن الضفدع" يا ضفدع نقي، كم تنقن، نصفك في الماء ونصفك في الطين، لا الماء تكثرين، ولا الشارب تمنعين"⁽¹⁰³⁾، وزعم مسيلمة أن له اتصالاً بعالم الجن والرئي فقيل فيه⁽¹⁰⁴⁾:

ببيضة قارور وراية شادن وخلة جني وتوصيل طائر

واتصل مسيلمة خارجياً بـ "سجاح" التميمية أم صادر، وبنى لها خيمة جمرها، وتبادلاً حديثاً غزلاً عرض عليها أنموذجات كاذبة مسجوعة، وزعم أنها قرآن أنزل عليه، فاستحسن (قرآنه) وتزوجته ومكثت في خيمته ثلاث ليل، ثم أسقط عنها صلاتي العتمتين مهراً لها، وجرى في الخيمة شعرٌ بذى فيه زيادة⁽¹⁰⁵⁾ وانتصر مسيلمة على عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة، لما هاجماه منفردين دون إذن من الصديق ﷺ وخالد فلامهما الصديق ﷺ وخالد على تجلها في الهجوم دون أمره، وكانت من وسائل اتصالات مسيلمة الداخلية استعانته بكاذبين، أحدهما يدعى "نهاراً والثاني" الرجال بن عنقرة" وكان الثاني مُسْلِماً يحفظ بعض آيات القرآن الكريم وجزءاً من سيرة النبي ﷺ، فاتخذ مسيلمة مستشاراً له في الرد على بعض الأسئلة التي ترد إليه من بني حذيفة، فقد شكوا بعض بني حذيفة من قلة مائهم، وسحق دخلهم، وطلبوا منه أن يبارك مواليدهم، وأن يحكمهم أسوة بما كان يفعله رسول الله ﷺ فكان مسيلمة، يسأل مستشاره الرجال، فيفسر له كيف كان يفعل الرسول فيقلده،

فكانت نتائجه عكسية، فما أن نفل في دلو ليندلقه في بئر ماء، حتى غاض الماء، والنخل الذي سقاه انحنى على جراهن، وما مدّ يده على رأس مولود يباركه إلا أصيب بالصلع، ولم ينبت له شعر وما حنك طفلاً إلا أصابه اللثغ⁽¹⁰⁶⁾.

وقد كان الرجال أخطرَ على الإسلام من الدجال، كما أشار الله إليه حنيف بن عمر الشكري فيقول⁽¹⁰⁷⁾:

يا سعادَ الفؤاد بنتَ أثال طال ليلى لفتنةَ الرجال

أنها يا سعادُ من حدثَ الدهرِ عليكم كفتنةَ النجل

وكان من اتصالات مسيلمة الكذاب الداخلية توبيخه جماعياً، لتأخر النصر المزعوم لمسيلمة، يوم حديقة اليمامة فقالوا له: ألا ترى ما نحن فيه من قتال هؤلاء الأعداء؟ فقال لهم مسيلمة: بهذا أتاني الوعد، أن القوم يلجئونكم إلى هذه الحديقة، ويكون قتالكم معهم في جوفها"، فقال له بعضهم: "وأين ما وعدتنا من ربك أن ينصرنا على عدونا، وأن هذا الدين الذي نحن فيه هو الدين القيم؟ فقال لهم مسيلمة: أما الدين، فلا دينَ لكم، ولكن قاتلوا على أحسابكم، أتظنون أنا إنما نقاتل إلى الساعة ونحن على حقٍ وهم على الباطل؟ إنه لو كان على ما تظنون إذن، لما قهرنا ولا قلّ جمعنا ثم ارتجز مسيلمة⁽¹⁰⁸⁾:

فلَوْ على الحقِّ صَبَرْنَا صَبَرْنَا

وعَانَدَ القومُ فَكانوا مِثْلَنَا

وكانَ في حقِّ يجوزُ أمرُنا

ما قلَّ خلقٌ في الأنامِ جَمْعُنا

فَوَبَّخَهُ بعضهم لأنَّه أوقعهم في غُرور وضلالٍ، ولاموا أنفسهم؛ لأنهم تمسكوا بدينه الكاذب قال⁽¹⁰⁹⁾:

لَبِئْسَ ما أوردنا مسيلمه

أبقى لنا بعنا أغيلمه

ونسوة جري لهن منيمنه

وفي حمياً معركة اليمامة استشاط مسيلمة حيث حسر عن رأسه وتحذى خالداً بقوله⁽¹¹⁰⁾:

أنا رسولٌ ولرِضاني الخالقُ

القايضُ للباسطُ ذا الرزاقُ

يا ابن الوليدِ أنتَ عندي فاسقُ

وكافرٌ برَبِّه منــــــــــــــــافقُ

وكانت الجولات الأولى لمسيمة إلى أن ميّز سيف الله المسلول بين القبائل فافتحم مسلمان حديقة مسيمة وقتلاه فيها⁽¹¹¹⁾: وهما: وحشي قاتل حمزة وعبد الله بن زيد الأنصاري بديل قوله⁽¹¹²⁾:

لَمْ تَرَ أَنِّي وَوَحْشِيهِمْ قَتَلْنَا مَسِيْمَةَ الْمَفْتَنِ
تَسَاعَلَنِي النَّاسُ عَنْ قَتْلِهِ فَقُلْتُ ضَرَبْتُ وَهَذَا طَعْنُ

ج. الرموز والإشارات عند المسلمين والمرتدين:

وكان من وسائل الاتصالات الرموز والإشارات والرايات في حروب الردّة، إذ كانت لغة ذات معنى ومفهوم خاص، عند كل من الجيوش المتحاربة: إسلامية ومرتدة، كما يبينها هذا المخطط: كلمة سر ومعناها، وصاحبها والمكان الذي قيلت فيه

التمثيل	كلمة المِرْ	معناها	صاحبها	مكانها
1	الله أكبر	توحيد الله والاستعانة به	خالد بن الوليد	بُزْخَة (113)
2	وامحمداه	استغاثة لنصرة دينه عليه السلام	خالد بن الوليد	ليمامة (114)
3	وامحمداه	استغاثة لنصرة دينه عليه السلام	خالد بن الوليد	عقرباء (115)
4	للتكبير	توحيد الله هجوم للفتح	المسلمون	حصن النجير لكندي (116)
5	امتازوا يا ناس	قاتلوا بقبائلكم متميزين	خالد بن الوليد	ليمامة- عقرباء (117)
6	للمير للمير	احرصوا عليها	الأشعث بن قيس	حصن النجير (118)
7	للحديقة الحديقة	لزموها	مسيمة لكذاب	معركة ليمامة- عقرباء (119)
8	اليوم يوم الغيرة	دفاع دنبري	مسيمة لكذاب	معركة ليمامة- عقرباء (120)

- الرموز

التمثيل	الرمز	معناها	صاحبها	مكانها
1	أبسط يدك نيابعك	تخليف الصنّيق والاتلق عليه	المسلمون	بيعة لصنّيق في سقيفة بني ساعدة والمسجد النبوي(121)
2	عضوا على أضراركم	تصميم على الجهاد	زيد بن الخطاب	معركة عقرباء(122)
3	رفع الأذان	انهم مسلمون	أبو بكر ووصيته إلى لقادة	رسالة الصنّيق من ذي لقصة(123)
4	امتازوا يا ناس	قاتلوا بقبائلكم متميزين	خالد بن الوليد	حصن النجير(124)

- الرايات

التسلسل	لون الراية	حاملها	مكانها
1	الراية الصفراء	قيس بن ثابت الأنصاري	اليمامة (125)

4. الخاتمة

لعلّ من أهم ما خلاص إليه هذا البحث أن يكون قد أبرز صنوفاً من وسائل الاتصالات بين الطرفين المتحاربين في سوح القتال.

لقد برزت الاتصالات جلية عند المسلمين، أكثر منها عند المرتدين، وتعددت أصنافها من خطب تُلقى لأمرٍ وتعليماتٍ؛ يفهمها المتلقون، ومنها المنظوراتُ للفهم والتفهم، ومنها الوصايا التي فيها خلاصةُ تجارب، ومنها المراسلاتُ بنوعيتها؛ التحريرية المختومة، إذ كانت تُرْمَلُ مع غير واحد أحياناً لضمان إيصالها إلى المعنيين بالأمر، ومنها الشفوية تنقل عن لسان القائد إلى من يهْمُ الأمر.

وكان للمراسلين دورٌ في إيصال الحلقات المفقودة أو المعتمدة، بين القاعدة والقمة، في تسلسل قيادات الألوية والخلافة من جهة، أو بينهم وبين المرتدين من جهةٍ أخرى.

وبرز دور الموقع المسيطر من أحسن وسائل الاتصالات؛ إذ يطلعُ القائد كخالد بن الوليد على ساحِ المعركة بنفسه، فيوجهُ معركته كما يشاء، ويستغني عن كثيرٍ من التعليمات المكتوبة، أو المنقولة عنه، لأنه يفهمُ جنده خطته بأقصر عبارة، وحسن إشارة، فيختصرُ المشهدَ الحربي في سوح القتال كثيراً من نافلة القول.

لقد أبرزت الدراسة أهمية الاتصالات الخارجية بين القوى المتحاربة، فعرَفَ كُلُّ طَرَفٍ ما طلبه الطرف الآخر، وبرزت الاتصالات الخارجية على نحوٍ من بثٍّ دعائيةٍ بنبوءةٍ لنفسه - وإن كانت كاذبة - تقومُ على استغواء بعض الجبهة شأناً مسيلمة وطليحة الكذابين.

وأوضحت الدراسة صنوفاً من الاتصالات الأخرى بين القوى المتحاربة منها: الرموز والإشارات والرايات عند المسلمين والمرتدين؛ إذ كانت لها معانٍ يفهمها كل طرف كوسائل اتصالات صامتةٍ وناطقةٍ، يُستغنى بها في كثير من الحالات عن الكلام، وتكمن فيها بعض أسرار، وتكتمن الخطة، وكان يُرفع بها المعنويات عند الاستنحاء بهم الجاهلية، أو يستنصر فيها بقوة الله ونصره، والناس عند راياتها، فيما يقال، يذاد عنها بالغلي، وفي بعضها مما استشهدنا به بغني عن كثيرها في الدلالة.

ولعلّ من هذه الدراسة ما يُفادُ منها في إيصال حلقات المعلومات، في اتصالات الحروب الحديثة، فسي عصرنا الحديث، مما يُحفزُ على دراسة التراث من منظورٍ حديث.

الحواشي

1. ابن منظور: لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خياط وتقديم عبد الله العلياني، بيروت، لسان العرب مادة "وصل".
2. سورة القصص 51/28.
3. الفيروز أبادي: القاموس المحيط، عالم الكتب، بيروت، ج 4/ 64 مادة "وصل".
4. الزمخشري: محمود بن عمر: أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1982، مادة "وصل"، ص 501.
5. سورة القصص، 51/28.
6. الفيومي: أحمد بن محمد علي: كتاب المصباح المنير، في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار القلم بيروت، مادة "وصل".
7. المعجم الوسيط: إخراج الدكتور إبراهيم أنيس وزملائه، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، استانبول، (د.ت) مادة "وصل"، ص 1037.
8. المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، 27، 1965.
9. المصدر نفسه: مادة مواصلات ص 965.
10. ابن منظور: لسان العرب المحيط، مادة "خطب".
11. أبو جعفر محمد الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط 4، ص 1962، مجلد 201/3. وشوقي أبو خليل: حروب الردة من قيادة الرسول إلى إمرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، دار الفكر، بيروت (د.ت) ص ص 34-35.
12. سورة آل عمران 144/3.
13. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 3/ 210، والواقدي كتاب الردّة، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1990، ص 31. وشوقي أبو خليل: حروب الردة، ص ص 34-35.
14. الواقدي، محمد بن عمر (ت 207هـ): كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، رواية أحمد بن محمد الأعمى الكوفي المتوفى ت (314هـ)، تحقيق الدكتور يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1480هـ-1990م، ص 51.
15. سورة التوبة: آية 51.

16. ابن منظور: لسان العرب المحيط مادة "وصي".
17. الجُرف يقع شمالي المدينة المنورة على ثلاثة أميال منها، ياقوت الحموي: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت، مادة "جرف" ج2/149.
18. الواقدي: كتاب الردة ص ص 69-70 وانظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1995، مجلد2/200.
19. الواقدي: كتاب الردة، ص51.
20. سورة التوبة: 51.
21. الواقدي: كتاب الردة، ص51.
22. الواقدي: كتاب الردة، ص51، والحديث في صحيح مسلم، إيمان، ص32-36.
23. سورة النور: 55، وانظر الصَّدِّيق عند الواقدي: كتاب الردة، ص52.
24. الواقدي: كتاب الردة، ص 52-53.
25. المصدر نفسه، ص52-53. والحارث بن هشام مخزومي ابن عم خالد بن الوليد، كان شريفا في الجاهلية والإسلام، يضرب المثل ببناؤه في الحسن والشرف وغلاء المهور، مدحه كعب بن أشرف، شهد بدرًا وانهزم، فاعتكر بأبيات هي أحسن ما قيل في الاعتذار، خرج إلى الشام واستشهد في طاعون عمولس سنة ثمان مائة عشرة (الزركلي: الأعلام، مجلد2/158).
26. في البيت إقواء، كذا في الأصل.
27. الواقدي: كتاب الردة، ص196.
28. المصدر نفسه، ص169.
29. المصدر نفسه، ص197، والأبيات ليست في ديوان حسان بن ثابت وانفرد بها الواقدي.
30. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، 208-209.
31. المصدر نفسه، ج2/208-209.
32. الواقدي: كتاب الردة، ص86.
33. المصدر نفسه، ص100.
34. المصدر نفسه الصفحة نفسها، لم يترجم له الزركلي مما يعني أن تراجم بعض الصحابة فانت الزركلي رحمه الله تعالى (الزركلي: الأعلام مجلد4 / 240)

35. المصدر نفسه، ص 57.
36. ابن حُبَيْش، غزوات ابن حُبَيْش، تحقيق أحمد غنيم، ط1، 1983، ص 135.
37. المصدر نفسه، ص 195.
38. الواقدي: كتاب الردة، ص 159.
39. المصدر نفسه، 162، والإطارين بمعنى نوم مرفه في التحرير أو ضرب من الخز وبمعنى السكر (لسان العرب: طرن).
40. الجنرال أكرم الباكستاني: سيف الله- خالد بن الوليد- دراسة عسكرية، عن معاركه وحياته، ترجمة صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1988، ص 177.
41. البلائري: فتوح البلدان، ص 64-65.
42. الواقدي: كتاب الردة، ص 194.
43. ابن حُبَيْش، غزوات ابن حُبَيْش، ج1/121-120 والعقاد، عباس محمود: عبقرية خالد، تقديم الدكتور محمد محمود رضوان، دار المعارف بمصر، تقديم 1972، ص 121-122.
44. الواقدي: كتاب الردة، ص 70.
45. المصدر نفسه، ص 70.
46. المصدر نفسه ص 70.
47. الواقدي: كتاب الردة، ص 86.
48. البلائري، فتوح البلدان، ص 105.
49. الواقدي: كتاب الردة، ص 100.
50. الواقدي: كتاب الردة، ص 192-194.
51. المصدر نفسه، ص 191-192.
52. سورة آل عمران: 102.
53. الواقدي: كتاب الردة، ص 191.
54. المصدر نفسه، ص 191-192.
55. الواقدي: كتاب الردة، ص 192-193.

56. المصدر نفسه، ص193.
57. الواقدي: كتاب الردة، ص 71، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3/250-251، مع خلاف في اللفظ زيادة ونقصاً. وانظر سورة الصف:9، والفتح 28 والتوبة 33.
- 58 سورة يس:70.
59. سورة فاطر:6.
60. الواقدي: كتاب الردة، ص72-73.
61. يلمع: السراب: وقاشر مثل" أشام من قاشر" وملخصه أن قومه طرقوه ليؤنث لهم إيلهم، فماتت الأمهات والنسل، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة "قشر".
62. قاشر: هو حمل لبني عرافة بن سعد من بني تميم، كان لقوم أبل تذكر، فطرقوه رجاء أن يؤنث لهم إيلهم؛ فماتت الأمهات والنسل، ويقال هو أخو زرقاء اليمامة الذي جلب الخيل إلى الجو فاجتاحتهم (الميداني: أحمد مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر ط2، 1972م، ج 1(380).
63. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3/263، وشوقي أبو خليل: حروب الردة، ص156.
64. شوقي أبو خليل: حروب الردة، ص98.
- 65 ديوان حسان بن ثابت، تحقيق الدكتور سيد حسنين، ص318، والواقدي: كتاب الردة، ص145-146.
66. شوقي أبو خليل: حروب الردة، ص98.
67. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2/219.
- 68 المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- 69 المصدر نفسه، ص154.
70. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3/281.
71. شوقي أبو خليل: حروب الردة، ص154.
72. الواقدي: كتاب الردة، ص76، والقصيدة من تسعة أبيات.
73. البلاذري، فتوح البلدان، ص107.
74. الكلاعي: الاكتفاء، تحقيق الدكتور أحمد غنيم باسم، القاهرة، ط1، 1979، ج2/16.
75. شوقي أبو خليل: حروب الردة، ص79.

76. المرجع نفسه، ص157.
77. الواقدي: كتاب الردة، ص190.
78. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
79. الواقدي: كتاب الردة، ص195-196.
80. المصدر نفسه، ص 197.
81. المصدر نفسه، 198.
82. الواقدي: كتاب الردة، ص199-200.
83. المصدر نفسه، ص200.
84. المصدر نفسه، ص206.
85. الواقدي: كتاب الردة، ص211.
86. المصدر نفسه، ص210.
87. ابن حبيب: المحبر، رواية ابن السكري، صححته إيلزه ليختن، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 186 وابن حجر: الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق علي البجاوي، نشر دار النهضة مصر، 1970، ج1/253.
88. الواقدي: كتاب الردة، ص159 و.. الواقدي: كتاب الردة، ص100-101.
89. المصدر نفسه، ص101.
90. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/244.
91. شوقي أبو خليل: حروب الردة، ص101-103.
92. الواقدي: كتاب الردة، ص220.
93. المصدر نفسه، ص123.
94. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/206.
95. المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
96. الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980، مجلد، 3/230.
97. د. علي العتوم، ديوان الردة، ص103-104.

- 98 المرجع نفسه، ص104.
- 99 الحموي، معجم البلدان، ج485/1، مادة "بُزَاخَة".
100. الجاحظ، عمر بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، منشورات محمد الريان، ط3، 1969، ج4/369-374.
101. المصدر نفسه، ج4/373-374.
102. الجاحظ، عمر بن بحر، كتاب الحيوان، ج4/369-374.
103. المصدر نفسه، ج5/530.
104. الجاحظ، عمر بن بحر، كتاب الحيوان، ج6/205-206.
105. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/215، وزيد عليها منحول، أدرجه د. على العتوم، ديوان الردة، ص173، وانظر الواقدي، كتاب الردة، ص111.
106. الواقدي، كتاب الردة، ص110.
107. المصدر نفسه، ص135.
108. الواقدي، كتاب الردة، ص135.
109. المصدر نفسه، ص129.
110. شوقي أبو خليل، حروب الردة، ص131.
111. شوقي أبو خليل، حروب الردة، ص94.
112. الواقدي، كتاب الردة، ص137. شوقي أبو خليل، حروب الردة، ص94-95.
113. العقاد، عبقرية خالد، ص55.
114. شوقي أبو خليل، حروب الردة، ص88.
115. الواقدي، كتاب الردة، ص204.
116. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/221.
117. محمد حسين هيكل، الصديق، دار المعارف، مصر، ط6، 149.
118. شوقي أبو خليل، حروب الردة، ص90.

119. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/220. شوقي أبو خليل، حروب الردة، ص84.
120. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/193.
121. المصدر نفسه، ج2/221.
122. د. صالح الأشقر، معارك وبطولات- معركة اليمامة- دار الشرق العربي، بيروت، 1982، ص13.
124. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/221. ومحمد باشميل، حروب الردة من معارك الإسلام الفاصلة، دار الفكر للنشر، 1979، ص100. والواقدي : كتاب الردة ص، 131
125. الواقدي، كتاب الردة، ص131.